الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

جامعة محمد بوضياف –المسيلة

كلية: العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية

قسم: التاريخ

تخصص: تاريخ الجزائر الحديث (1519– 1830م)

مساهمة البحرية الجزائرية في الحروب العثمانية الأوروبية في البحر الأبيض المتوسط خلال القرن 16م- معركة ليبانت 1571م أنموذجا-

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في تاريخ الجزائر الحديث

إعداد الطالبة: – سامية مبرك

إشراف الأستاذ: د. عاشور قويدر

أسماء الأساتذة المناقشين	الرتبة	الصفة
د. قويدر عاشور		مشرفا
د. حميدي أبوبكر		رئيسا
د. بن أزواو فتح الدين		مناقشا

السنة الجامعية :1439/ 1440هـ- 2018/2019م

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إهداء:

إلى روح أبي الطاهرة التي ما فارقت ذاكرتي ووجداني

إلى أمي الغالية حفظها الله و رعاها

إلى زوجي نبيل وابني محمد، وابنتي فرح و سارة...

إلى إخوتي و أخواتي...

إلى روح فقيد قسم التاريخ بجامعة محمد بوضياف

الأستاذ: محمد الصديق بن صالح رحمه الله...

أهدي هذا العمل المتواضع.

كلمة شكر:

أتقدم بأسمى عبارات الشكر والتقدير إلى الأستاذ عاشور قويدر، الذي تحمل معي مشقة هذا العمل من خلال الإشراف عليه، كما سيجد شكري و امتناني على نصائحه القيمة وتوجيهاته المفيدة...

ولا يفوتني أن أقدم أخلص معاني الامتنان لكل الأساتذة الذين رافقونا في مشوارنا الدراسي لنيل شهادة الماستر.

كما أشكر كل من ساعدني خلال مراحل إنجاز هذه المذكرة، وأخص بالذكر الأستاذ الدكتور فيصل مبرك.

مقدمة

بعد توسع الدولة العثمانية، التي انطلقت من إمارة إلى دولة إقليمية ثم إلى إمبراطورية عالمية، أصبح لها دور فاعل في تشكيل العلاقات الدولية بين الشرق الإسلامي و الغرب المسيحي، زيادة على أنها حققت فتوحات في الأراضي الشرقية لأوروبا، فقد وجهت جهودها للدفاع عن الأراضي الإسلامية في شمال إفريقيا، و مد نفوذها إليها، مما جعلها تقف تلقائيا في وجه المشروع الإسباني المدعم بالقوى المسيحية، ما أثار تنافسا طبع على العلاقات العثمانية الأوروبية طابع الصراع على مناطق النفوذ في البحر الأبيض المتوسط.

مع بداية القرن السادس عشر الميلادي بدأ الصراع العثماني الأوروبي يتحول من أوروبا الشرقية إلى وسطها و غربها، هذه الأخيرة التي شهدت تحولات كبرى انقلبت على إثرها من دول صغيرة إلى إمبراطوريات كبرى، تحركها التوجهات الاستعمارية، و هي الحقبة المسماة بفترة التفوق الإسباني و البرتغالي ما بين القرنين 15و 16م، و احتدام الصراع بعد وضوح الطموحات العثمانية و كذا بروز فكرة الحرب الدينية ، و التي كان لها مدى واسع في العالمين الإسلامي و المسيحي، مما أفرز نوعا من المواجهة الحربية المتواصلة جرّت الخصمين إلى مواجهة بحرية عنيفة في خليج ليبانت عام 1571م، التي اعتبرت من أقوى المواجهات التي شهدها البحر الأبيض المتوسط الذي كان مجال تنافس تتجاذبه هاتين القوتين المتنافستين.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

تكمن أهمية هذا الموضوع في أنه يعنى بتشخيص واقع العلاقات الدولية بين التنافس والتحالف والتصادم السياسي والعسكري بين الجهتين العثمانية والأوروبية، خلال القرن السادس عشر الميلادي.

يتناول هذا الموضوع فترة حساسة في التاريخ الحديث بالنسبة لكل شعوب البحر الأبيض المتوسط، وكذا التحولات الكبرى التي شهدها القرن 16م، اهمها ميلاد قوة بحرية سوف يكون لها فيما بعد دور الريادة في التحكم في العلاقات الدولية لدول المتوسط، هذه القوة البحرية المتمثلة في إيالة الجزائر ظهرت في خضم صراع متأجج بين الشرق الإسلامي والغرب المسيحي، مما حتم على المتوسط أن يكون مسرحا لأطوار وأحداث هذا الصراع الذي انتهى بالتقاء القوتين في معركة بحرية عظيمة في خليج ليبانت سنة 1571م.

لذا فإن اختياري لهذا الموضوع كان لأهميته في التاريخ الحديث، والرغبة الشخصية لدراسة تاريخ الجزائر خلال الفترة الأولى من قيام الإيالة، هذه الفترة الغنية جدا بالأحداث التاريخية الملحمية، والكثير من أعلام الجهاد ممن ساهموا في قيام الإيالة وقوتها، ومساهمتهم في المعارك البحرية للأسطول العثماني ضد أوروبا المسيحية.

هذا ما دفعنا لطرح الإشكالية التالية: هل يمكن أن نفهم الواقع الجيوسياسي في البحر المتوسط على أنه منطقة تنافس حول النفوذ الاقتصادي بين أوروبا و الدولة العثمانية ، أم أن ذلك التنافس ما هو إلا حلقة جديدة من حلقات التصادم الحضاري بين القوتين الإسلامية و المسيحية؟ و إلى أي مدى يمكننا اعتبار معركة ليبانت 1571م نقطة تصادم في الصراع بين العثمانيين و أوروبا المسيحية في البحر المتوسط خلال القرن 16م؟ و كيف ساهم التعصب الديني المسيحي في تأجيج هذا الصراع، و فرض المواجهة الحتمية بين هاتين القوتين؟ و ما هو دور الجزائر في الصراع العثماني الأوروبي في هذه الفترة؟

هيكلة الموضوع:

ومن أجل الإجابة على هذه التساؤلات رأيت أن أقسم علمنا هذا إلى ثلاثة فصول، إضافة إلى فصل تمهيدي ناقشت فيه الواقع السياسي والعسكري للدولة العثمانية خلال القرن 16م، أما الفصل الأول بعنوان: البحرية الجزائرية من التأسيس إلى العالمية،

ينقسم إلى ثلاثة مباحث وهي: أولا جهود الاخوة بربروس في تأسيس الأسطول الجزائري الحديث، وثانيا نظام البحرية العثمانية، وثالثا: المكانة الدولية للأسطول الجزائري في البحر الأبيض المتوسط.

أما الفصل الثاني فهو بعنوان: أبعاد التنافس الدولي حول المتوسط، يناقش ثلاثة مباحث وهي: أولا، الخطاب الديني المتعصب وأثره في تأجيج الصراع في المتوسط، أما المبحث الثاني؛ فبعنوان: البعد المادي للمعارك البحرية في المتوسط (الجهاد البحري – القرصنة الأوروبية – غنائم البحر...)، أما المبحث الثالث فهو بعنوان: المعاناة الإنسانية من خلال أدبيات الأسر.

وبالنسبة للفصل الثالث بقد عنونته بـ: معركة ليبانت أحداثها وآثارها، وهو بدوره يشتمل على مباحث، المبحث الأول بعنوان: خلفيات معركة ليبانت وتشكيل التحالف الصليبي، بينما المبحث الثاني معنون بـ: خليج ليبانت ميدان لمواجهة عنيفة، وفي الأخير تكلم المبحث الثالث على نتائج المعركة وتداعياتها على الجانبين العثماني الجزائري والأوروبي.

نقد المادة الوثائقية:

اعتمدنا في دراستنا لهذا الموضوع عدد من المصادر والمراجع على اختلاف أنواعها ولعل أهمها ما يلي: مذكرات خير الدين بربروس، ترجمة محمد دراج، وهو مصدر مهم جدا في دراسة الفترة الأولى لتأسيس إيالة الجزائر والمجهودات التي بذلها خير الدين وخلفائه في ارساء قواعد الدولة الفتية وانشاء مؤسساتها خاصة سلاح البحرية، و كذلك كتاب دييغو فراي دي هايدو تاريخ باشوات الجزائر، والذي يعد من أهم المصادر الأجنبية التي أرّخت لهذه الفترة، وقد تكلم عن البيلربات من حيث

أصولهم وإنجازاتهم، والأحداث التاريخية التي شهدتها الجزائر في هذه الفترة، إضافة إلى المصدر الأجنبي المعرب بعنوان إفريقيا لمارمول كربخال الذي شارك في حملة شارل الخامس على الجزائر سنة 1541م، اضافة إلى مصادر أخرى مثل: كاتب جلبي المشهور باسم حاجي خليفة في كتابه تحفة الكبار في أسفار البحار الذي يخبرنا عن أحوال البحرية العثمانية وأهم رجالها، ويتطرق إلى معركة ليبانت و أثرها على العلاقات الدولية فيما بعد، وابراهيم أفندي بجوي المتوفى سنة 1650م، صاحب كتاب التاريخ السياسي والعسكري للدولة العثمانية من عهد السلطان سليمان القانوني إلى سليم الثاني، وهي الفترة المدروسة في هذا الموضوع.

اعتمدنا كذلك على مجموعة من المراجع المهمة تميزت بالموسوعية وغزارة المعلومات مثل كتاب أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمئة سنة بين الجزائر وإسبانيا (1492 – 1792م)، وكذا كتب جون جوليوس نورويش، الموسوم بـ: البحر المتوسط" تاريخ بحر ليس كمثله بحر، وكتب أخرى تتميز بالتحليل ورؤية النقدية مثل كتاب ادريس الناصر رائسي، المعنون بـ: العلاقات العثمانية الأوروبية في القرن السادس عشر، وكذا دراسة الأستاذ محمد سي يوسف، قليج علي باشا و دوره في البحرية العثمانية، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، و قد تطرق لدراسة معركة ليبانت و كذا شخصية علج علي باشا بشكل مفصل، و التي تعتبر من الدراسات السابقة لهذا الموضوع، و كتاب جون باتيست وولف بعنوان الجزائر و أوروبا الذي أفادني في جل مباحث هذه البحث، اضافة لدراسة الأستاذ الشافعي درويش، علاقات الإيالات العثمانية في غرب المتوسط مع إسبانيا خلال القرن العاشر الهجري / السادس عشر ميلادي، وهي رسالة ماجستير في التاريخ الحديث بجامعة غرداية، ومراجع أخرى ومنها مقالات علمية نذكر منها مثلا مقال الدكتور حنيفي هلايلي، ومسعودة بوجلال،

بعنوان: قضايا البحر الأبيض المتوسط بين الجهاد والصليبية من خلال كتابات فرناند بروديل، بمجلة الحوار المتوسطي، و مراجع أخرى اهتمت بتاريخ العلاقات الدبلوماسية بين الدولة العثمانية ودول أوروبا الغربية.

المنهج المتبع:

اعتمدنا في دراستنا لهذا الموضوع جمع المادة التاريخية وترتيبها والتعليق عليها، وفق ما هو معروف ومعمول به في كل البحوث التاريخية، مع تركيزنا على ضبط الإحالات والهوامش وذلك ما تقتضيه الموضوعية والطرح العلمي، كما تجدر الإشارة إلى أننا حاولنا استنطاق النصوص والنقول التاريخية ومن خلال استنباط المعاني القيمية كالعنصرية والتعصب الديني والحقد، واسقاطها على الأحداث التاريخية وعلى طبيعة الخطابين الديني والسياسي في القرن السادس عشر الميلادي.

وفي الختام تجب الإشارة إلى بعض الصعوبات التي واجهتنا في إنجاز هذا العمل، أهمها نقص المصادر المحلية التي تؤرخ لهذه الفترة، و صعوبة ترجمة المصادر الأجنبية، كما أن هذه الدراسة تحتاج إلى وقت أطول من أجل استكمال تفاصيله، لأن فيها أحداث وتفاصيل يصعب جمعها وفهمها وتوظيفها كلها في ثنايا البحث، ولكن ما لا يدرك كله؛ لا يترك جله، نرجو أن نكون قد استفدنا من خلال إنجازه كما نرجو أن نفيد زملاءنا الطلبة من خلال إلقائه وعرضه، كما لا ننسى أن نشكر كل من قدم لنا يد العون و النصح.

فصل تمهيدي:

الدولة العثمانية في القرن 16م

بدت واضحة طموحات الدولة العثمانية للسيطرة على الساحة السياسية والعسكرية للحوض الغربي للبحر الابيض المتوسط مع نهاية القرن 15م وبداية القرن 16م، هذا القرن الذي انتهى بمحنة الأندلسيين وحملة عدوانية واسعة تقودها إسبانيا على سواحل المغرب، وتجدر الاشارة إلى توسعات العثمانيين التي وصلت الى البلقان وجنوب أوروبا، ووصولهم الى أوج توسعاتهم خاصة بعد فتح القسطنطينية سنة 1453م، لتحقق الدولة العثمانية بعد ذلك الكثير من الانتصارات الهامة خاصة في معركة تشالديران ضد الفرس (الصفويين) سنة 1514م، وكذا الانتصار ضد المماليك في الشام ومصر خلال سنتي 1516 و1517م، وسيطرتهم على المنطقة العربية بما فيها الاماكن المقدسة، ونال السلطان العثماني سليم الأول (1512- 1520) ولاء زعماء القبائل العربية وشريف مكة (ابو البركات الهاشمي)، والذي أشرف فيما بعد على تعيينه بنفسه مما أضفى على الدولة العثمانية الزعامة الدينية في العالم الإسلامي [1]، وبهذا تصور الأوروبيون وعلى رأسهم إسبانيا والبرتغال؛ أن الدولة العثمانية هي النموذج الأقوى الذي يمكنه أن يشكل خطرا على المسيحية في أوروبا ويضمن السيطرة الإسلامية على المتوسط.

ومع مطلع القرن 16م كان على رأس الدولة العثمانية السلطان بيزيد الثاني (1481-1512م)، وكانت الدولة في وقته قد تربعت على جزء كبير من آسيا الغربية وأوروبا الشرقية، ولم تكن سيطرتها قد بلغت بعد إفريقيا أو البحر الأبيض المتوسط ما عدا سيطرتها على بعض الجزر في بحر إيجة، هذه المنطقة التي مثلت نقطة تنافس بين العثمانيين والبنادقة[2]، وفي الوقت نفسه منطلقا للحملات العسكرية والتوسع.

في عام 1517م تمكن السلطان سليم الأول من استكمال الفتوحات حيث امتاز عهده بمواصلة الحروب في الجبهة الأوروبية خاصة في الحوض الغربي للمتوسط، وكانت لفتوحات سليم الأول أهمية بالغة حيث سيطر العثمانيين عل أغنى مناطق العبور للتجارة

---

[1]- اسماعيل أحمد ياغي، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض، 1995م، ص61.

[2]- محمد سي يوسف، قليج علي ودوره في البحرية العثمانية، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، إشراف أبو القاسم سعد الله، جامعة الجزائر، 1988م، ص 11.

العالمية بين الشرق والغرب، وبذلك تضاعفت ايرادات الدولة العثمانية وامتلأت خزائنها، حيث أصبح في إمكان السلطان الجديد سليمان القانوني (1520 – 1566م) أن يمول خططه للقيام بفتوحات عالمية[1].

رافق هذا الزخم من الأحداث تفتت الأنظمة السياسية في المغرب العربي وتخلفها عن ركب الحضارة التي صارت أكثر ارتباط بأوروبا، حيث شهدت بلدان المغارب قيام أنظمة إقطاعية غالبا ما كانت في صراعات مع بعضها البعض[2]، ففي تونس وصل الحفصيون إلى درجة بالغة من التردي والضعف، وتجاوزت المكائد والمؤامرات حدود الدولة لتصل إلى الاستعانة بالإسبان مثل ما فعله السلطان أبو عبد الله محمد الحفصي، وبلغ التفكك مبلغه في حكام بني زيان في المغرب الأوسط فقد تميز نفوذهم في منطقة الغرب الجزائري بالضعف والهشاشة، وكذا الصراع بين بني مرين والوطاسيين على حكم المغرب الأقصى[3]، قد فقد هؤلاء قوتهم وأصبحوا عاجزين عن الدفاع عن ممتلكاتهم أمام الأطماع الاسبانية والمرينية في المغرب الأقصى، بينما كانت المناطق الشرقية والوسطى من الجزائر تشهد فراغا سياسيا تحاول بعض الزعامات القبلية المتنازعة ملأه، والحال نفسه تعيشه القبائل المتواجدة على تخوم الصحراء[4].

استغل الإسبان هذا الظرف القائم في المغرب خاصة الشرقي والأوسط ونصبوا حكمهم فيه باحتلال مدنه الساحلية وموانئ، فركزوا فيها حامياتهم العسكرية وسيطروا على مجاله

---

[1]– خليل إينالجيك، تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، ترجمة محمد أرناؤوط، ط1، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2002م، ص56.

[2]– الصالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي(1514–1830م)، دار هومة، الجزائر، 2012، ص 26.

[3]–جاسم محمد شطب، " الاستراتيجية العثمانية في شمال إفريقيا في القرن 16م"، مجلة آداب الكوفة، المجلد 1، العدد 21، 2015، ص 47.

[4] – يلماز أوزوتونا، تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة عدنان محمود سلمان، مراجعة وتنقيح محمود الأنصاري، ط1، مج 1، مؤسسة فيصل للتمويل، استانبول، 1988، ص 240.

البحري، وبدأت المدن تسقط الواحدة تلو الأخرى في أيديهم، دون وجود سلطة قائمة للمواجهة نتيجة الضعف المتأصل وتقلص قاعدتها الترابية والبشرية والاقتصادية [1].

لقد أجمع المؤرخون أن التدخل العثماني في بلدان المغرب العربي لم يكن أمرا مدروسا أو متوقعا من طرف الجميع بما في ذلك العثمانيين أنفسهم، لأن اهتماماتهم تركز على اتجاهات متعددة في قارة أوروبا وآسيا، وأن اهتمام العثمانيين بالمغرب كان فقط تتمة للسيطرة على مصر المملوكية، حيث اعتمدت الدولة العثمانية في فتوحاتها على الجيش البري ولم يكن للأسطول العثماني دورا بارزا في توسعاتها، وبذلك نسجل تطورا بطيئا في المجال البحري[2].

تأثر العثمانيون بالبيزنطيين في نظمهم الإدارية والمحلية، ووضع الأجانب تحت نظام معين وتمتعهم بالامتيازات، كما تأثروا بالفرس في تبجيل الحكام والتفرقة بين رجال البلاط ورجال الادارة وتقسيم الوزارة إلى أقسام، دون اغفال تأثرهم بالعرب والمسلمين في نظمهم الدينية والاجتماعية المستمدة من الشريعة الاسلامية باعتماد المفتين والفقهاء وأئمة المساجد وشيخ الاسلام، وتأثير البيئة الأصلية للأتراك والموقع الجغرافي لدولتهم في جعلهم أمة مقاتلة تتميز بطابعها العسكري الحربي[3].

على الجهة الأخرى من المتوسط وفي القرن نفسه، كان حدث سقوط غرناطة على يد الإسبان تتويجا مسيحيا لانتصارات كانت قد بدأت منذ القرن 11م، في كل من أراغون وفالنسيا كوجه من وجوه الصراع الديني، والاصطدام الحضاري بين الإسلام والمسيحية[4].

---

[1]– دلندا الأرقش، جمال بن طاهر، عبد الحميد الأرقش، المغرب العربي الحديث من خلال المصادر، مركز النشر الجامعي، تونس، 2003، ص 37.

[2]– سمير عبد الرسول العبيدي، "حركة الجهاد البحري ونشوء الحكم العثماني في المغرب العربي"، مجلة الحوار المتوسطي، مج 6، العدد 9– 10، سبتمبر 2015، ص299 وما يليها.

[3]– محمد سي يوسف، مرجع سابق، ص ص 14– 16.

[4]– فرناند بروديل، " صعود الامبراطوريات وانهيارها"، مجلة الاجتهاد، العددان 26–27، السنة السابعة، دار المجتهد للأبحاث والترجمة والنشر، بي0روت، 1415هـ / 1995م، ص 255.

إن هذا الاصطدام الحضاري بصبغته العسكرية كان حتمية تاريخية، لأن الظروف التي توفرت خلال القرن 16م، فرضت مثل هذا النوع من الاحتكاك بين منهجين حضاريين مختلفين، وايديولوجيتين متناقضتين، بالإضافة إلى اصطدام المصالح خاصة في نقاط التماس بين الامبراطوريتين العثمانية والإسبانية، حيث اعتبرت إسبانيا المدافع الأول عن مصالح وأمن المسيحيين خاصة بعد قيام الملكان الكاثوليكيان بتصفية الوجود الإسلامي نهائيا في قارة أوروبا، فوجدت الدولة العثمانية نفسها الحامي والمغيث الوحيد للمسلمين سواء الموريسكيين أو مسلمي شمال إفريقيا[1].

الصراع العثماني الإسباني في البحر المتوسط في القرن 16م:

شكلت العلاقات بين الامبراطوريتين العثمانية والإسبانية في حوض البحر الأبيض المتوسط، حلقة هامة من حلقات الصراع المسيحي الإسلامي الذي تبنته كلا الامبراطوريتين، العثمانية في الشرق والإسبانية في الغرب، وقد ازدادت حدته في القرن السادس عشر الميلادي، هذا القرن الذي وصف من قبل بعض المؤرخين قرن الصراع الاسلامي المسيحي[2]، فبينما كانت إسبانيا قد استولت على آخر معاقل المسلمين في شبه الجزيرة الإيبيرية 1492م، كان نجم العثمانيين يعلوا ويرمي بأطرافه على القارات الثلاث أوروبا وآسيا وإفريقيا، إذ شهد بذلك العالم توحيدا للصف المسيحي استعدادا للمواجهة الحاسمة ضد الاسلام والمسلمين وتضع الأسس المتينة لحضارة جديدة، ترافقها نهضة اقتصادية عظيمة عززتها الكشوفات الجغرافية العالمية التي غيرت وجه التاريخ[3].

و قد تعددت الدوافع التوسعية لإسبانيا في سواحل المغرب العربي مستغلة بذلك الأوضاع المتدهورة لدول المغرب بداية القرن 16م، ذلك أن الوحدة الإسبانية قابلها تفكك

---

[1]– حنيفي هلايلي، القضية الموريسكية في الفضاء العثماني الجزائري على ضوء الفرمانات العثمانية(1492–1614م)، من السجل العلمي للملتقى الدولي (العلاقات الجزائرية التركية)، ج1، جامعة بسكرة، يومي 18–19 فيفري 2014م، ص 321.

[2]– حنيفي هلايلي، مسعودة بوجلال، " قضايا البحر الأبيض المتوسط بين الجهاد والصليبية من خلال كتابات فرناند بروديل"، مجلة الحوار المتوسطي، العددان 15–16، مارس 2017م، ص 565.

[3]– أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمئة سنة بين الجزائر وإسبانيا (1492 – 1792م)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،، ص 64.

وضعف في كيانات بلاد المغرب، أدت إلى تشجيع إسبانيا على استرداد الأراضي التي فتحها المسلمون في الأندلس وبلاد المغرب [1]، حيث غلب على الصراع الإسباني فيما بعد الطابع الديني المتعصب إذ لعب رجال الدين والملوك الكاثوليك دورا بارزا في ذلك، فبعدما كسبت إسبانيا الرهان العسكري والسياسي في غرناطة، وجدت نفسها مجبرة على احتواء السواحل المغربية، تحت رعاية ومباركة الكنيسة البابوية[2]، حسب ما نصت عليه معاهدة توردي سيلاس سنة 1494م[3]، دون أن ننتقص من أهمية الدوافع السياسية لإسبانيا والتي ترمي إلى تزعم أوروبا المسيحية وزيادة شعبية ملوكها بعد احتلال المغرب العربي، وربما يعبر هذا التفكير عن خوف مسيحي من أن يعيد المسلمون الكرة ويسترجعوا الأندلس مرة أخرى باتحاد المغاربة مع العثمانيين الأتراك، ومن هذا المنطلق عمل الإسبان على نقل الحرب إلى المغرب لإشغال المسلمين بأنفسهم[4].

كما أن إسبانيا لم تتجاهل دوافعها الاقتصادية في إقامة إمبراطورية واسعة، خاصة بعد اكتشاف العالم الجديد، والدور الذي لعبه الذهب والفضة الذي تم جلبه من الأمريكيتين في الاقتصاد الإسباني، مما دفع بإسبانيا إلى محاولة القضاء على النشاط البحري للمسلمين ومحاصرته[5]، ومما دفع الاسبان إلى السعي وراء إقامة مرتكزات صليبية لها في سواحل الشمال الإفريقي تمهيدا لاحتلال الضفة الجنوبية للمتوسط، وامتلاك موانئ وأسواق جديدة

---

[1]– ناصر الهادي الحضيري، الهجمات الصليبية على المغرب الإسلامي واستدعائها لتأسيس أيالات المغرب العثمانية 1492م – 1575م، المجلة الليبية العالمية، العدد 6، جامعة بنغازي، مارس 2016م، ص 5.

[2]– الشافعي درويش، علاقات الإيالات العثمانية في غرب المتوسط مع إسبانيا خلال القرن العاشر الهجري / السادس عشر ميلادي، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، إشراف عمار بن خروف، جامعة غرداية، 2010م – 2011م، ص ص 24 – 25.

[3]– معاهدة توردي سيلاس 1494م: Tordesillas وهي بلدة موجودة حاليا في بلد الوليد، تم عقد معاهدة يوم 7 جوان 1494م، إذ تم بموجب هذه المعاهدة تقسيم المناطق المكتشفة خارج أوروبا بين البرتغال والإسبان، تضمنت المعاهدة انشاء خط وهمي غرب جزر الرأس الأخضر، وتم الاتفاق بين هاتين القوتين البحريتين بأن جميع الأراضي التي تقع غرب الخط فهي تنتمي لإسبانيا بما فيها أمريكا الجنوبية، وأما الأراضي التي تقع شرق الخط فهي تنتمي الى البرتغالية، وقد تم اتباع هذه المعاهدة الاحتكارية رغم اخلال البرتغال بها من خلال احتلالها البرازيل.

[4]– أسماء أبلالي، التحرشات الإسبانية على سواحل الجزائر خلال القرن 10هـ/16م قراءة في الدوافع والنتائج، مجلة روافد للبحوث والدراسات، العدد2، جامعة غرداية، 2017م، ص 39.

[5]–الشافعي درويش، المرجع نفسه، ص 25.

يستطيعون من خلالها احتكار تجارة المعادن النفيسة والتوابل التي ترد إليها من القوافل التجارية من الصحراء، ومنافسة المدن الإيطالية مثل جنوة والبندقية التي احتكرت التجارة بين الشرق والغرب زمنا طويلا [1].

أما في الشرق فيبدوا أن المسألة الموريسكية كان لها وزن في السياسة العامة العثمانية، خاصة بعد الانتصارات العسكرية التي حققها العثمانيون في شرق أوروبا، وبذلك وجد العثمانيون أنفسهم يتمتعون بوزن ديني وعسكري وسياسي بالغ الأهمية، دفع بمسلمي الأندلس إلى إرسال رسالة استغاثة إلى العثمانيين قبل سقوط غرناطة بخمس سنوات 1487م، هذه الرسالة تصف حجم معاناة المسلمين، وكيف أن سقوط الإسلام بات وشيكا في الأندلس[2].

يبدوا أيضا أن العثمانيين قد استفادوا كثيرا من الخلافات الأوروبية وتضارب المصالح بين الدول الأوروبية، خاصة في القرن 16م وانتزعوا من أوروبا العديد من الأقاليم خاصة في شرق القارة والجزر الموجودة في الحوض الشرقي للمتوسط [3].

كان لهذه التطورات في الصراع العثماني الإسباني تأثيرا مباشرا على البلاد الجزائرية، خاصة بعد ظهور الملاحة العثمانية في غرب المتوسط المتمثلة في الإخوة بربروس عروج وخير الدين وإسحاق، حيث اشتهروا في جزيرة جربة التونسية ثم أصبح لديهم انتقالهم إلى ميناء حلق الوادي قوة بحرية مؤلفة من حوالي 1000 بحار و10 سفن، وقد دخلوا حينها في خدمة السلطان الحفصي والتزموا له بدفع خمس الغنائم التي يتحصلون عليها، وبطلب من سكان بجاية تحولوا إليها من أجل إعانتهم على طرد الإسبان منها[4]، ثم تحولهم إلى مدينة جيجل وبذلك تحول تفكير عروج إلى إقامة حكم جديد في الجزائر، رغم أن الغنيمة

---

[1]– ادريس الناصر رائسي، العلاقات العثمانية الأوروبية في القرن السادس عشر، ط 1، دار الهادي للطباعة والنشر، بيروت، 2007م، ص 64.

[2]– عبد الجليل التميمي، الدولة العثمانية وقضية الموريسكيين الأندلسيين، مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات، زغوان، 1989م، ص11.

[3]– هربرت فيشر، أصول التاريخ الأوروبي من النهضة إلى الثورة الفرنسية، ترجمة زينب عصمت راشد، أحمد عبد الرحيم مصطفى ط 3، مار المعارف، القاهر، 2001، ص 373.

[4]– ناصر الدين سعيدوني، تاريخ الجزائر في العهد العثماني، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2014 م، ص 25.

كانت أحد الدوافع لنشاطات عروج في الحوض الغربي للمتوسط، فإنه مع ذلك لبى نداءات المسلمين الفارين من الأندلس المستغيثين ضد القمع المسيحي، والاضطهاد، ومحاكم التفتيش، مما جعل منه مثالا للبطل المنقذ وجعل المدن الجزائرية تسارع للاستنجاد به، وإبداء الاحترام والولاء له [1].

مع تعاظم شأن الريس عروج ووصول أخبار انتصاراته قرر أعيان مدينة الجزائر دعوته إلى التدخل وذلك من أجل التعاون معه لإخراج الإسبان من قلعة البنيون التي غرست كالشوكة في حلق الجزائريين وكانت توجه منها أفواه المدافع الإسبانية، مما اضطر سالم التومي إلى عقد هدنة مع الإسبان دامت عشر سنوات [2]، واستقبل عروج استقبال الفاتحين في مدينة الجزائر سنة 1516 م، ثم قام بعد ذلك بالاتصال بأحد البحارة الأتراك الذي كان متواجدا آنذاك في مدينة شرشال اسمه قارة حسن الذي اعترف بسلطته وانظم إليه لكن عروج لم يحتمل وجود منافس له فقام بقطع رأسه[3].

عند وصول القوة الإسبانية إلى وهران سنة 1518 م انطلق عروج متجها إلى تلمسان وخوفا من عدم فاعلية دفاعات المدينة طلب الاستغاثة العاجلة من سلطان فاس، إلا أن موقف السلطان كان سلبيا ومراوغا، فاضطر عروج للانسحاب إلى مدينة الجزائر لكن تمت مطاردته من طرف الإسبان فقاتل بكل ما أوتي من قوة لكنه لقي حتفه وقد كان في سن الأربع والأربعين، بعد أن استطاع أن يقيم دولة في شمال إفريقيا في غضون سنوات قليلة في محيط مليء بالأعداء معتمدا على حنكة عسكرية فذة وقوة في الشخصية [4].

بعد استشهاد الريس عروج اتفق جميع أصدقائه والموالين له على تسليم القيادة لأخيه خير الدين الذي كان متأثرا جدا بفقدان أخيه، وفي ظروف صعبة خاصة مع إعلان بعض

---

[1]– دلندة الأرقش وآخرون، مرجع سابق، ص 38.

[2]– مارمول كربخال، إفريقيا، ترجمة محمد حقي ومحمد الأخضر وآخرون، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، دار المعرفة، الرباط، 1984 م، ج 2، ص 364.

[3]– مبارك الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، مكتبة النهضة الجزائرية للنشر، مطابع بدران وشركائه، بيروت، 1964م، ج 3، ص 43.

[4]– جون جوليوس نورويش، البحر المتوسط" تاريخ بحر ليس كمثله بحر "، ترجمة طلعت الشايب، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2015م، ص 347.

القبائل الجزائرية المؤيدة لعروج العصيان والتمرد على خير الدين، وكذلك استغلال الإسبان الفرصة ومواصلة مساعيهم العسكرية في المنطقة حيث قام الأمير هوجو دي مونكادا Hogo Do Monkad بمحاصرة الجزائر برا وبحرا ورغم كثرة عدد قواته إلا أنه لم يوفق في حصارها وارتد خائبا[1]، فبدأ خير الدين بحملات لتأديب بعض الثائرين ضده مثل مناطق تنس وشرشال[2].

[...وأحسن إليه أيضا بمملكة الجزائر بلقب أمير أمراء، بينما كان لقبه حتى ذلك الوقت رئيسا، أصبح لقبه منذ الآن أمير أمراء، وعلا قدره إلى عنان السماء] [3]، وبذلك أصبحت الجزائر ولاية عثمانية يدعى فيه باسم السلطان سليم الأول في خطبة الجمعة وتضرب باسمه السكة[4].

---

[1]– أحمد فؤاد متولي، تاريخ الدولة العثمانية منذ نشأتها إلى نهاية العصر الذهبي، ايتراك للنشر والتوزيع، القاهرة، 2005م، ص 254.

[2]– عزيز سامح ألتر، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، ط1، ترجمة محمود علي عامر، دار النهضة العربية، بيروت، 1989م، ص ص 70 – 71.

[3]– بجوى إبراهيم أفندي، التاريخ السياسي والعسكري للدولة العثمانية – من عهد السلطان سليمان القانوني حتى عهد السلطان سليم الثاني –، ترجمة وتقديم ناصر عبد الرحيم حسين، مج 1، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2015 م، ص 218.

[4]– محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، ترجمة إحسان حقي، ط 1، دار النفائس، بيروت، 1981 م، ص 231.

الفصل الأول

البحرية الجزائرية من التأسيس إلى العالمية

- جهود الاخوة بربروس في تأسيس الأسطول الجزائري الحديث.
- نظام البحرية العثماني
- المكانة الدولية للأسطول الجزائري في البحر الأبيض المتوسط.

- المبحث الأول: جهود الاخوة بربوس في تأسيس الأسطول الجزائري الحديث.

تميزت الظروف الدولية التي ظهرت فيها البحرية الجزائرية بالتفوق البحري الأوروبي، وباختلال التوازن لصالح العالم المسيحي، فبعد مرحلة التفوق الحضاري للعالم الإسلامي التي انتهت في القرن 11 ميلادي، تلتها فترة توازن في القرون الثلاثة الموالية إلى غاية القرن 14م، ثم مرحلة التراجع الإسلامي الذي بدأ يشهد ركودا اقتصاديا وفكريا وانكماشا ديموغرافيا، يقابله تطورا متسارعا في الاقتصاد الأوروبي ونهضة علمية وفكرية، وتطورا ديموغرافيا كبيرا[1].

لابد من أن ظهور النشاط البحري للجزائريين مقترن بظهور الدولة الجزائرية الحديثة، فالمحاولات الأولى لسكان الساحل الجزائري للتصدي للاعتداءات الأوروبية لم تكن ذات فاعلية إلا بعدما تعززت بظهور الإخوة عروج وخير الدين بربروس في القرن 16م على مسرح البحر الأبيض المتوسط[2]، وهما من أصول يونانية، تميزوا بالشجاعة والمعرفة والمهارة في ركوب البحر مما صنع لهم سمعة مهابة الجانب في دول المتوسط، وبعد إسلامهم ودخولهم تحت خدمة السلطان العثماني، قاموا بالعديد من الحملات الجريئة على الشواطئ الاسبانية من أجل تقديم المساعدة لمسلمي الأندلس الفارين إلى شواطئ شمال إفريقيا، وقد كانوا آنذاك يملكون حوالي عشرة سفن تحمل على ظهرها حوالي 1000 رجل من البحارة، وقد اتخذوا من الجهاد البحري نشاطا لهم[3].

في البداية كان الاخوة بربروس يعملون لصالحهم الخاص، ويقدمان المساعدة للمسلمين على جهتين حيث استجاب الاخوة لاستغاثة الموريسكيين الفارين من الشواطئ الإسبانية وكذا المسلمين في شمال إفريقيا الذين يعانون من التحرشات الإسبانية على

---

[1]– ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية (دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000م، ص191.

[2]– جمال قنان، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1994م، ص 32.

[3]– كورين شوفالييه، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر (1510–1541)، ترجمة جمال حمادنة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص26.

سواحلهم، وفي هذه الأثناء اقتنع عروج بضرورة إقامة إيالة عثمانية على أراضي شمال إفريقيا، وكان من المرجح أنها ستكون على أرض الجزائر لعدة اعتبارات أهمها أن السلالة الحاكمة في تونس كانت متمكنة ويصعب تنحيتها بينما الجزائر تشهد في بعض مناطقها الشرقية والوسطى حالة من الفراغ السياسي وغياب الحاكم، وسبب آخر هو أن الجزائر أكثر عرضة للخطر الصليبي من غيرها[1]، وقد كان لهم فضل كبير في تحرير المدن الجزائرية التي كانت قابعة تحت سيطرة القوات الإسبانية، وبعد توجه الأهالي الجزائريين إلى السلطان العثماني بطلب الانضمام تحت لواء الدولة العثمانية، وبعد أن جاء رد السلطان بالقبول وقام بتنصيب خير الدين على رأس الإيالة برتبة بيلرباي (باي البايات)، أرسل السلطان العثماني سليم الأول دعما عسكريا خير الدين في الجزائر يتكون من قوة بحرية محملة بأربعة آلاف من المقاتلين المتطوعين من الأتراك وكميات من الأسلحة والذخائر والتجهيزات الحربية [2].

وبعد تولي خير الدين باشا أمور إيالة الجزائر أدرك صعوبة الموقف على هذه الجبهة، وضرورة التحرك لمواجهة الأخطار الخارجية والداخلية التي تهدد استقرار هذه الإيالة الفتية، مما أوجب عليه اتخاذ الاجراءات اللازمة والأعمال العسكرية الحاسمة اتجاه أعداء الإيالة وعلى رأسهم الإسبان وحلفائهم من الأهالي الذين يرفضون التواجد العثماني في المنطقة[3]، وهذه الاستراتيجية نفسها اعتمدها الريس عروج الذي كان يرى أن مدينة الجزائر تعيش في حالة دفاع متواصلة ضد الكثير من الأعداء الخارجيين، وأن البحرية هي السلاح الوحيد الذي كان بإمكانه ابعاد هؤلاء الأعداء، وصد الغارات الأوروبية[4].

---

[1]– اسماعيل أحمد ياغي، العالم العربي في التاريخ الحديث، ط 1، مكتبة العبيكان، الرياض، 1997م، ص 24، ينظر أيضا: يلماز أوزوتونا، مرجع سابق، ص 245.

[2]– بسام العسلي، خير الدين بربروس (والجهاد في البحر 1470– 1547 م)، ط3، دار النفائس، بيروت، 1986م، ص 108.

[3]– أحمد سالم سالم علي، السيطرة العثمانية على الحوض الغربي للبحر المتوسط في القرن 16م، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2011م.

[4]– عبد الحميد بن اشنهو، دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر، دار الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 1972م، ص 97.

إن خروج الجزائريين إلى حروب البحر بمعية الأتراك كان في الحقيقة رد فعل مغاربي لطرد الاسبان للمسلمين من بلادهم في الأندلس ومطاردتهم في البحر الأبيض المتوسط ومحاولتهم شن حملة صليبية لاحتلال شمال إفريقيا[1]، كان العنف والتنصير القسري الممارس ضد مسلمي الأندلس هو الدافع إلى نزوحهم بأعداد كبيرة إلى شمال إفريقيا واستيطانهم المدن والقرى الساحلية والقريبة من السواحل ومزاولتهم الصناعة والتجارة ولاسيما صناعة السفن، التي استخدمها البحارة في عمليات الجهاد البحري ضد الشواطئ والسفن الأوروبية[2].

وبحكم الموقع الجغرافي للجزائر والمهام الجهادية التي ارتبطت بها منذ انضمامها للدولة العثمانية فقد حكم عليها أن تكون دولة بحرية بكل المعايير، وقد اعتبر المؤرخون الجزائريون وغيرهم أن خير الدين بربروس يمثل أبرز شخصية عثمانية ارتبط اسمها ببناء الدولة الحديثة، وتأسيس إيالة الجزائر العثمانية، ويعود له الفضل في بناء القوة البحرية لهذه الدولة الناشئة خلال القرن السادس عشر الميلادي بداية من سنة 1519م الى غاية وفاته سنة 1546م، ولقد أدى استقرار الأتراك العثمانيين في مدينة الجزائر إلى تحويل نشاطات الجهاد البحري في البحر الأبيض المتوسط إلى مؤسسة[3].

حظيت البحرية الجزائرية باهتمام لم تحظ به أي فرقة أخرى من فرق الجيش الجزائري في العصر الحديث، حيث استطاعت بفضلها الدولة الجزائرية تحت الحكم العثماني من أن تفرض سيادتها على السواحل الجنوبية الغربية للبحر الأبيض المتوسط وكذا تحقيق الأمن والحماية لسواحل الإيالة وموانئها طوال الفترة العثمانية[4].

---

(1)– عبد الحميد بن آشنهو، " الدور الذي لعبته الجزائر في القرن السادس عشر بالبحر المتوسط"، مجلة الأصالة، العدد 09، السنة 2، جمادى الأولى 1392، جوان 1932م، ص 203.

(2)– جاسم محمد شطب، مرجع سابق، ص 49.

(3)– حنيفي هلايلي، بنية الجيش الجزائري خلال العهد العثماني، ط1، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2007م، ص 44.

(4)– علي خلاصي، الجيش الجزائري في العصر الحديث، ط1، دار الحضارة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007م، ص 161.

مثلت طائفة رياس البحر العصب الرئيسي في تسيير الأسطول البحري الجزائري منذ نشأته وهذه الفئة تشمل الرياس إضافة إلى مالكي السفن والبحارة وعمال الصيانة كالنجارين والجلافطة[1]، وقد استخدم مصطلح الرياس في العهد العثماني للدلالة عن رجال البحرية الجزائرية أو بحرية إيالة الجزائر، وكذلك عبرت عن كل من له صلة بالبحر[2].

وقد تميزت التركيبة البشرية للبحرية الجزائرية بتعدد مشاربها حيث ضمت خليطا من العناصر الجزائرية والأعلاج الذين أسلموا وأغلبهم من دول جنوب أوروبا خاصة أولئك القادمين من المدن الإيطالية، إضافة إلى العناصر الأندلسية والقادمين من المشرق، مما أكسب الأسطول البحري الجزائري قوة متجددة وتقنيات بحرية متنوعة[3].

ومن أشهر الرياس في القرن 16م عروج وخير الدين بربروس، درغوث رايس، علج علي باشا وهم الذين أنشئوا الإيالات العثمانية في الغرب الاسلامي (الجزائر، تونس، طرابلس الغرب)، وأعطوها أشكالها السياسية والعسكرية، وقد يتساءل العديد من الباحثين عن السبب الرئيسي الذي دفع بهؤلاء الأعلاج باعتناق الإسلام ثم الانخراط في صفوف البحرية الجزائرية وممارسة الجهاد البحري ضد الدول الأوروبية، فقد أرجعها البعض للتأثر الكبير الذي أحدثته العقيدة الإسلامية في نفوس هؤلاء المسيحيين أو قد يعود إلى أزمة العقيدة عندهم اتجاه ديانتهم الأصل، أو قد يكون لمصلحة خاصة بالنسبة لهم [4].

- **القطع الحربية المستخدمة في البحرية الجزائرية:**

---

[1]– الجلافطة، أو القلفاطة هم الذين يسدون حزوز السفن والتشققات في هيكل السفينة بالزفت أو المواد العازلة التي تمنع تسرب المياه إلى داخل السفن.

[2]– عائشة غطاس، نعيمة بوحمشوش، وآخرون، الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث، الجزائر، 2007م، ص95.

[3]– عائشة جميل، الجزائر والباب العالي من خلال الأرشيف العثماني (1520–1830م)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، اشراف عبد القادر صحراوي، جامعة سيدي بلعباس، 2017 – 2018م، ص 127.

[4]– حنيفي هلايلي، " التنظيم العسكري للبحرية الجزائرية في العهد العثماني"، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية، العدد 24، ديسمبر 2007م، ص 258.

كانت السفن هي الأداة الأساسية في النشاط البحري الجزائري والجهاد البحري، وتتحدث الوثائق والمصادر التاريخية عن أنواع من السفن التي كونت الأسطول البحري الجزائري، خلال القرن 16م اختلفت الاحصائيات على عدد القطع البحرية المكونة للأسطول، ففي سنة 1516م جاء خير الدين بربروس من جيجل على رأس قوة بحرية البالغ عدد مراكبها 21 مركبا، وسنة 1529م حين قاد هجوما على القوات الإسبانية المتموقعة في حصن البنيون بلغ عدد السفن المشاركة في هذا الهجوم 45 سفينة مختلفة الأحجام والأنواع [1]، وفي سنة 1558م وصل عددها إلى ما يزيد عن 53 غالير (لومانة) و25 فرقاطة (بارجة)[2]، وعدد من المراكب الصغيرة، وفي سنة 1571م ارتفع عدد المراكب إلى أزيد من 100 قطعة متنوعة، ويذكر ألبير دوفو أن علج علي باشا بيلرباي الجزائر قد شارك في هذه السنة في معركة ليبانت بسرب من السفن بلغ عدد وحداته 60 قطعة[3]، أما في عام 1580م فقد تكون الأسطول البحري الجزائري من حوالي 35 غليوطة فقط، بغض النظر عن بقية الأنواع[4].

وفي الفترة التي استقر الحكم فيها لخير الدين كان عدد السفن مرشحا دائما للتزايد، ليس فقط بفضل إقامة الترسانات لبناء السفن في سواحل الجزائر، بل بفضل خرجات الرياس في أعالي البحار بغرض الجهاد البحري، ففي سنة 1515م تمكن خير الدين بربروس في حملة قام بها في فصل الشتاء من الاستيلاء على 20 سفينة وعليها حوالي 3800 أسير[5]، وفي أوج نشاطه في الجهاد البحري في العقد الثاني من القرن 16م انظم إليه الكثير من البحارة القادمين من الأناضول مثل بيري رايس[6] وهو ابن أخ كمال

---

[1]–جمال قنان، مرجع سابق، ص 34.

[2]– علي عبد القادر حليمي، مدينة الجزائر (نشأتها وتطورها قبل 1830م)، ط 1، الجزائر، 1972م، ص 282.

[3]– Albert Devoulx, La marine de la régence d'Alger, Revue Africaine, année 3, N°77, Edition Challamael Ainé, Paris, Septembre 1869, P 9

[4]–سعيدوني، مرجع سابق، ص 194.

[5]– أوزوتونا، مرجع سابق، 246.

[6]– بيري رايس، هو أحمد محي الدين بيري بالتركية Ahmet Muhiddin Piri الشهير باسم بيري رايس (1470–1555م)و هو قبطان من كبار البحارة العثمانيين وراسم الخرائط، شارك مع عمه كمال رايس في بعض المعارك البحرية، قام بتأليف كتاب " البحرية " عام 1520 وقدمه للسلطان سليمان القانوني عام 1525م.

رايس، آيدن رايس، قورقود أوغلو رايس، صالح رايس باشا، يحي رايس حيث يذكر خير الدين في مذكراته أنه عند عودته إلى الجزائر قام بتقسيم أسطوله إلى وحدات، وأرسلتها إلى الغزو تحت قيادة سنان رايس، وقد خرج بستة سفن عاد بست أخرى غنمها من الأعداء، كانت إحداها مشحونة بالبارود والرصاص وقذائف المدفع وستين قذيفة من البرونز [1].

من بين الأنواع التي فضلها الجزائريون في أنشطتهم البحرية:

- الجفن: جمعها أجفان، وجفون، وهي سفينة حربية ذات شكل دائري مثل القصعة، حركتها بطيئة لحجمها الكبير، وحسب مذكرات خير الدين بربروس فإنه كان يصنعها برفقة أخيه وبحارته قبل المجيء إلى الجزائر [2].
- غادرغا أو الغالير: كانت من أنواع السفن الكبرى في الأساطيل العثمانية والأوروبية، تحتوي على 25 مقعدا و49 مجدافا، يحرك المجداف الواحد أربعة أو خمسة

أشخاص، وتحمل كل واحدة منها مدفعية كبيرة وأربع وسطى وثمانية صغيرة [3]، القادرغا طولها 55 ذراعا، وكلما كانت أطول كانت أحسن، يرتفع الجزء الخلفي منها بحوالي 18 ذراعا، تتميز بمقاومتها للريح العاتية [4].

- سفن الشيني: التي تتميز بكونها طويلة وسريعة الحركة، وسهلة التوجيه، ذات سارية واحدة، وتسير بالأشرعة والمجاديف، يتراوح عدد مقاعدها ما بين 24 إلى 28 مقعد، لكل من هذه المقاعد مجدافان، ويقوم على كل مجداف أربعة أو خمسة رجال،

---

[1]– خير الدين بربروس، مذكرات، ترجمة محمد دراج، ط 1، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010م، ص 133.

[2]– حليم سرحان، " نظرات حول السفن الحربية الجزائرية في العهد العثماني، دراسة هستوغرافية "، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد 09، جامعة المسيلة، جويلية 2015 م، ص 182.

[3]– سهيل صابان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مطبعة الملك فهد الوطنية، الرياض، 2000م، ص 172.

[4]– حاجي خليفة (كاتب جلبي)، تحفة الكبار في أسفار البحار، ترجمة وتحقيق محمد حرب، تسنيم حرب، ط 1، دار البشير للثقافة والعلوم، 2017 م، ص 239.

يوضع في مقدمتها مدفع، يوجد في هيكل السفينة فتحات لتمرير المجاديف تضمن السرعة في حالات المتابعة أو الانسحاب[1].

- الغليوطة: وهي سفن ذات أشرعة طويلة لتكون سريعة وسهلة القيادة وذات مرونة في توجيهها، وهي ذات هيكل مسطح وغير غائر وسلس بدون زخارف زائدة، وهي السفن المناسبة لمناورات الجهاد البحري نظرا لحفتها وسرعتها[2].
- الفرقاطة: هي سفن شراعية ذات ثلاث أعمدة يبلغ طولها مابين 45 إلى 55 ذراعا، وقد كان في مخازنها وعلى سطحها مدافع، يبلغ عددها مابين 30 إلى 60 مدفعا، وتتميز هذه السفن بسرعة الحركة رغم أن عدد طاقمها قد يصل إلى 450 رجلا[3].
- البريك: وهي من السفن الشراعية ذات الصارية الواحدة، تتوفر على مستودع في هيكلها، كانت من بين أسرع السفن في وقتها، يستعان بها في أيام الحروب[4].
- الشباك: جمعها شباكات وشبابيك، تنتمي لصنف السفن الحربية، لها مقدمة ممدودة وثلاث صواري، الصاري الأول مائل نحو الأمام، ويتوسطها الصاري الكبير والصاري الخلفي موجود على ما يشبه المصطبة الصغيرة[5].
- الغاليون: فيها أنواع عديدة ولا يستخدم العثمانيون إلا النوع الذي يسمى يورتون، والأنواع الأخرى لهذه السفينة موجودة بكثرة في سفن الأساطيل الأوروبية [6].
- الفوسطة أو الفوسطو: سفينة صغيرة شراعية ومجدافية سريعة جدا وخفيفة تتمتع بقدرتها على الولوج في الأماكن الضيقة وبين الصخور، كثيرا ما كان يستخدمها الجزائريون[7].

---

[1]– غطاس، مرجع سابق، ص 98.

[2]– نفسه، **ينظر أيضا**: عباد، مرجع سابق، ص 321.

[3]– نبيل عبد الحي رضوان، "تطور الأسطول العثماني في ظل أبرز الحضارات البحرية للبحر المتوسط "، مجلة المؤرخ المصري، العدد 20، جامعة القاهرة، 1998م، ص 246.

[4]– عبد الحي رضوان، مرجع سابق، 244.

[5]–سرحان، مرجع سابق، ص 183.

[6]– حاجي خليفة، المصدر السابق، ص 238.

[7]– بن اشنهو، دخول الاتراك العثمانيين...، مرجع سابق، ص 105.

- **الترسانات:**

بحلول القرن 16م، أصبحت مدينة الجزائر تنافس أكبر وأهم المدن والعواصم الجزائرية مثل تلمسان وبجاية، حيث أسس بها الريس عروج دارا للسلاح وهيأ مرفأ هاما لرسو السفن بها، ومن خلاله أخذ يغير على السفن والسواحل الإسبانية[1]، وبعد تنصيب الحكم العثماني في الجزائر رسميا أصبحت مدينة الجزائر تتوفر على أحواض لصناعة السفن تمكنها من صنع غليوطات ذات 22 مقعدا للتجديف، وبعد سنوات أصبحت المراكب والسفن تبنى في المراسي الجزائرية الأخرى، كما تم استغلال ميناء خير الدين في بناء السفن زيادة عن وظائفه الاعتيادية، وقد كانت المراكب الكبيرة تصنع في ميناء باب الوادي، بينما السفن الصغيرة تصنع في ترسانة باب عزون[2]، هذه الأخيرة عبارة عن حوض مستدير الشكل يبعد عن الرصيف القاري بحوالي 300 قدم.

إضافة إلى ترسانة شرشال التي يتم فيها بناء السفن من نوع الفرقاطة والبرغانطي التي كانت تحوي من 8 إلى13 مقعدا، وقد اشتغل الأندلسيون في بنائها، كما وجدت أيضا ترسانة بالقرب من عنابة مخصصة لنوع بسيط من السفن يقل أهمية عن السفن التي تبنى في ترسانات مدينة الجزائر [3].

أما فيما يخص مصدر الأخشاب فقد كانت تجلب من نواحي شرشال، وغابات القل الغنية بأشجار البلوط، مناطق أخرى مثل جيجل وعنابة والقالة، كما عقدت الإيالة اتفاقيات مع الدولة بما تحتاج إليه، مثل دولة السويد والدنمارك التي تقدم كميات معتبرة من الخشب وهولندا التي تقدم الحديد والنحاس والكبريت... الخ، إضافة الى المساعدات المقدمة من الباب العالي[4].

---

[1]– بن اشنهو، الدور الذي لعبته الجزائر في القرن 16م...، مرجع سابق، ص 301.

[2]– غطاس وآخرون، مرجع سابق، ص 99.

[3]– المرجع نفسه، ص 100.

[4]– غطاس، مرجع سابق، ص ص 100– 101.

- **ديوان البحرية في إيالة الجزائر:**

ويسمى أيضا ديوان الرياس وهو مجلس حكم يتكون من كبار ضباط البحرية وقياداتها، فالبحارة يتدرجون عبر مراحل الاستحقاق للوصول إلى رتبة رايس عليه أن يبدأ من العمل كخادم في غرفة الضباط ثم بحار ثم زميل ثم ضابط وأخيرا إلى رتبة رايس، ولكن قبل تعيينه كقبطان عليه أن يجتاز بنجاح امتحان يخضع إليه من طرف الديوان[1]، وتعود مسؤولية تسيير البحرية الجزائرية إلى طاقم متكامل على رأسه وكيل الحرج وهو موظف سام في ديوان الإيالة، تذكره بعض المصادر باسم "وكيل حرج باب الجهاد" أو "وكيل حرج باب الجزيرة" وأوكلت له مهمتين أساسيتين (حسب التسميات التي وردت في الوثائق الحكومية الأوروبية باسم وكيل حرج وزير البحرية والشؤون الخارجية) [2]، هما:

- تولي شؤون البحرية وذلك بالإشراف على جميع أنواع الأنشطة التي تقام في الموانئ بشقيها التجاري والعسكري.
- العلاقات الخارجية: ويكون ذلك بتوليه تسوية المسائل الخاصة بعلاقات الإيالة مع الدول الأجنبية.

ويلي وكيل الخرج العديد من الضباط أبرزهم "القبودان" وهو القائد العام للأسطول الجزائري عند خروجه إلى عرض البحر، ويليه ليمان رئيس وهو قائد الميناء توكل إليه مهام المراقبة والتفتيش على مستوى الميناء، له سفينة خاصة يشرف من خلالها على عملية تفقد الموانئ الجزائرية والتعرف على هوية السفن الداخلة والخارجة منها وطبيعة نشاطها، ولأهمية الدور الذي يقوم به ليمان رئيس فإنه يقابل الباشا مباشرة ليقدم له التقارير المتعلقة بنشاط موانئ مدينة الجزائر[3]، بالإضافة إلى موظفين آخرين مثل "واردیان باشا" ومهمته الأساسية الإشراف على الأعمال التي يقوم بها الخدم في الموانئ

---

[1]– وليام سبينسر، الجزائر في عهد رياس البحر، تعريب وتقديم عبد القادر زبادية، دار القصبة، الجزائر، د.ت، ص ص 74 – 75.

[2]– حليمي، مرجع سابق، ص 278.

[3]– خليفة حماش، العلاقات بين إيالة الجزائر والباب العالي (1798–1830م)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، اشراف خليل عبد الحميد عبد العال، جامعة الاسكندرية، 1988م، 139– 140.

وعلى ظهر السفن (أغلب الخدم هم أسرى أوروبيين)[1]، كذلك الخزناجي وهو المكلف بالعنابر التي يخزن فيها البارود وهو من يقوم بتوزيعه على الطوبجية، أما أصحاب هذه العنابر فيطلق عليهم اسم العنبرجية[2].

أما عند خروج السفن إلى عرض البحر فإنها تحمل على ظهرها عدة رياس، وقباطنة آخرون لا يؤدون أية مهام لأن دورهم هو قيادة السفن التي يتم الاستيلاء عليها، إضافة إلى رئيس المدفعية (باش طوبجي)، وخوجة بمثابة المستشار أو سكرتير [كذا] للقبطان وضيفته تفسير جميع الاشارات (يجيدون الكتابة والقراءة)، وطباخ، ومجموعة من الجند الانكشارية تحت قيادة آغا[3].

وعلى العموم، فإن الجزائر منذ انضمامها للدولة العثمانية أصبحت تمثل إحدى ثغور الجهاد التي زرعت الرعب في قلوب المسيحيين برا وبحرا، فالدول الأوروبية المعادية لم تشهد في تاريخها أشجع وأبرع من البحارة الجزائريين، الذين أجبروا أغلب الأمم الأوروبية على دفع الأتاوات وإرسال الهدايا لحكام الجزائر بكامل مظاهر الخضوع والرهبة، كما دفعتهم أيضا إلى السعي إلى تظافر الجهود وتحقيق الوحدة العسكرية الأوروبية من أجل القضاء على الهيمنة الجزائرية على شؤون الحوض الغربي للمتوسط[4].

---

[1]–المرجع نفسه، ص140.

[2]– بن اشنهو، دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر، مرجع سابق، ص 100.

[1]– Devoulx, OP.CIT, p 7.

[4]– عزيز سامح ألتر، مرجع سابق، ص 128.

- **المبحث الثاني: نظام البحرية العثماني:**

بسبب عدم اهتمام العثمانيين بالتجارة البحرية في بداية تأسيس الامبراطورية جعلهم يتأخرون في تأسيس الأسطول البحري إلى ما بعد فتح القسطنطينية [1]، ولكن التحولات الكبرى التي طبعت الوجه الجديد للصراع الإسلامي المسيحي حتمت على الدولة العثمانية أن تحول طابعها العسكري من بري إلى بحري لتتماشى مع هذه التحولات والتي يمكن تلخيصها في عدة نقاط أهمها:

- التوسع العثماني في منطقة البحر الأسود والبحر الأبيض المتوسط، والبحر الأحمر.

- الصراع العثماني ضد الأساطيل الأوروبية خاصة البنادقة والجنويين والإسبان والبرتغاليين والقراصنة المتواجدين في الجزر المتوسطية.

- حماية التجارة والاتصالات بين أجزاء الإمبراطورية العثمانية.

كل هذه العوامل والظروف دفعت بالعثمانيين إلى اعتماد نمط حربي جديد والعمل على التكيف مع تقنياته وخبرة الدول المعادية في هذا المجال [2]، حتى أن الأتراك لم يكونوا ملمين بعلوم البحر إلى الدرجة التي وصلوا إليها بعد تولي خير الدين بربروس شؤون الأسطول[3]، يذكر جون باتيست وولف أهمية الوحدات البحرية العثمانية التي كانت تحارب البحارة البنادقة في بحر إيجة وكذلك التي تحارب البرتغاليين في البحر الأحمر دون أن يقلل من شأن المجهودات التي قام بها خير الدين باشا بعد انضمامه للبحرية العثمانية بمعية ضباطه ثم بعد توليه منصب قبودان الأسطول العثماني، حيث

---

[1]– محمد جميل بيهم، فلسفة التاريخ العثماني كيف نشأت وارتقت السلطنة العثمانية وإلى أي حد بلغت عظمتها، مكتبة صادر للطباعة، بيروت، 1925م، ص 145.

[2]– روبير مانتران وآخرون، تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة بشير السباعي، ط1، دار الفكر للدراسات للنشر والتوزيع، القاهرة 1993م، ج1، ص 307.

[3]– كمال بن صحراوي، " الصراع المسيحي ومؤشراته في البحر المتوسط خلال القرن 16م"، مجلة الحضارة الإسلامية"، المجلد 15، العدد 21، جامعة وهران، ص 575.

حقق العثمانيون قفزة نوعية في بناء السفن التابعة للأسطول بعد سنة 1530م في وقت لم يتجاوز الخمسين سنة[1].

ترجع نشأة الأسطول البحري العثماني إلى رغبة العثمانيين في القضاء على أسطول جمهورية البندقية التي استحوذت على الكثير من الممتلكات البيزنطة، كما سيطرت على بعض الجزر والمواقع من شبه جزيرة البلقان، لذلك لم يكن بوسع العثمانيين طرد البنادقة من هذه المناطق إلا باكتساب قوة بحرية معتبرة[2].

أنشأ العثمانيون عدة مناصب في الأسطول العثماني، كما تم وضع النظم الخاصة بتسييره وإدارته منها:

- قبودان داريا: هي أعلى رتبة في البحرية العثمانية، يقابلها في الوقت الحالي رئيس القوات البحرية أو أمير البحر [3]وهو القائد العام للأسطول العثماني، وهو اسم مشتق من كلمة إيطالية ثم حرفت لتصبح قبطان، وكان القبودان يعقد جلسات في مقر ديوان البحرية، نال هذا المنصب العديد من بيلربايات الجزائر وهم خير الدين وإبنه حسن باشا، وعلج علي باشا[4].
- قبودان أو القبودانه: ومعناه أميرال، يأتي بعد قبودان باشا في الرتبة والترتيب، له سفينة خاصة تسمى قبودانه همايون[5]، ظهر هذا المنصب سنة 1682م.
- باطرونة: مأخوذ من كلمة لاتينية، يأتي بعد القبودانه في الترتيب يوازي رتبة لواء أميرال، له سفينته الخاصة تسمى باطرونه همايون[6].

---

(1)– جون باتيست وولف، الجزائر وأوروبا (1500– 1830م)، ترجمة وتعليق أبو القاسم سعد الله، طبعة خاصة، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2015م، ص ص 44– 45.

(2)– نبيل عبد الحي رضوان، تطور الأسطول العثماني...، مرجع سابق، ص ص 235– 236.

(3)–سهيل صابان، مرجع سابق، ص 177.

(4)– عبد الحي رضوان، تطور الأسطول العثماني...، مرجع سابق، ص 247.

(5)– همايون: كلمة تعظيم خاصة بالسلاطين العثمانيين، " هما" تعني طائرا أسطوريا ذو حظ وقدرة، وقد اتخذها الأتراك رمزا لهم، واستخدمت في كل ما يخص الدولة العثمانية وسلاطينها مثل: الأسطول الهمايوني، الختم الهمايوني، القرار الهمايوني....، سهيل صابان، مرجع سابق، ص 226.

(6)– المرجع نفسه، ص 248

● أمين الترسانة: كان يشرف على بناء السفن وإصلاحها كان ينوب القبودان باشا عند خروجه إلى البحر، يحضر الاجتماعات دون أن يشارك في الرأي أو النقاش، ألغي هذا المنصب فيما بعد وأوكلت مهامه إلى القبودان باشا، أشهر الترسانات العثمانية هما "غاليبولي" و"جالاتا"، خاصة هذه الأخيرة التي حظيت باهتمام كبير من طرف السلطان سليمان ونالت الصدارة في عهده، وكانت تظم 123 حوضا، يمكن لكل حوض أن يستوعب سفينتين شراعيتين في موضع بناء أو إصلاح[1]، إضافة إلى ترسانات أخرى أقل شأنا أو المؤقتة منها.

أما المخازن البحرية والمستودعات فقد كان يشرف عليها موظفان أولهما يعرف بأمين مستودعات الترسانة، والثاني ناظر مستودعات الترسانة، مكلفان بالتسجيل في دفاتر خاصة[2].

عند خروج السفن العثمانية إلى أعالي البحار يكون على ظهر السفينة الربان الذي تكون له الكلمة على الجميع، علاوة على مجموعة من رجال المدفعية وعدد من الجنود، دون الاستغناء على المجدفين وهم من الأسرى أو المذنبين المعاقبين، أو من الرعايا المأخوذين من المقاطعات في إطار المساهمة الحربية المفروضة على بعض الجماعات المدنية[3].

بفضل النظام المحكم للبحرية العثمانية والاهتمام الكبير الذي منحه السلاطين العثمانيين للأسطول البحري العثماني ما لبثت أن أصبحت قوة بحرية ضاربة في البحر الأبيض المتوسط وحقق قفزة نوعية جعلته يصنف ضمن القوى البحرية الكبرى، وأثبتت الدولة العثمانية أن لها مقومات الدولة البحرية[4]، فبنت السفن بأنواعها تجارية كانت أو حربية، والمجدافية والشراعية، وتنوع السفن من حيث الشكل والاسماء والمهام، وقد شهد الأسطول العثماني عصره الذهبي في عهد خير الدين باشا عندما تولى منصب القابودان داريا (أدميرال الأسطول العثماني، والقائد الأعلى له) ويرى الكثير من المؤرخين أن

---

[1]– روبير مانتران، مرجع سابق، ص ص 307 – 308.

[2]– عبد الحي رضوان، المرجع نفسه، ص ص 248 – 249.

[3]– مانتران، مرجع سابق، ص 307.

[4]– بن الصحراوي، مرجع سابق، ص 574.

الأسطول العثماني عانى كثيرا بعد وفاة قائده خير الدين باشا خاصة بعد تولي قادة القوات البرية (الانكشارية) مثل محمد صوقللي، وسنان باشا، ومع ذلك فقد استطاع أن يحافظ على قوته وتماسكه بالرغم من الظروف الصعبة وذلك بعد انتقال قيادته لأمير البحر درغوث باشا[1].

[1]– نبيل عبد الحي رضوان، جهود العثمانيين لإنقاذ الأندلس واسترداده في مطلع العصر الحديث، أطروحة دكتوراه في التاريخ الإسلامي الحديث، اشراف محمد عبد اللطيف البحراوي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1407 هـ / 1987 م، ص 260.

- **المبحث الثالث: المكانة الدولية للأسطول الجزائري في المتوسط:**

كانت الجزائر خلال العهد العثماني إيالة قوية، خاصة من الناحية البحرية، حيث استطاعت تكوين أسطول يفوق قوة الأساطيل التي كانت تجوب البحر المتوسط آنذاك، لذا فقد أجبرت الدول المسيحية على دفع الجزية للجزائر وتتسابق في مابينها لربط علاقات الصداقة خدمة لمصالحها التجارية في المتوسط، وكانت تتحالف فيما بينها ضد الجزائر بسم الصليب لتحاول كسر شوكتها[1].

في بداية القرن السادس عشر الميلادي لم يكن للجزائر قوة بحرية لمواجهة الخطر الإسباني، خاصة بعد احتلال الاسبان العديد من المدن والموانئ الجزائرية، بعد سقوط غرناطة سنة 1492م، ومحاولتها إقامة إمبراطورية إسبانية في شمال إفريقيا، حيث لم يكن هناك رد فعل بحري فعلي ضد المشروع الإسباني، وبعد احتلال الإسبان للمرسى الكبير عام 1515م قاموا بإرسال 140 سفينة منها 6 سفن شراعية كبيرة ذات مجاديف، تنقل حوالي 10.490 جندي إسباني [2].

لقد كان التدخل العثماني القوي في منطقة المغرب الإسلامي ومحاولة نصرة المسلمين في مناطق نفوذ أوروبية في الحوض الغربي للمتوسط سببا أساسيا في فشل المشروع الإسباني في شمال إفريقيا، إذ تمكن خير الدين من أن يجعل للجزائر مكانة دولية هامة لدى الدول الأوروبية العظمي واستطاع بناء دولة اسلامية قوية على أنقاض إمارة ضعيفة[3].

المعلوم أنه لا يختلف اثنان على أن تلك الشخصية القوية البارزة، وتلك الهيبة والهيمنة الدولية التي تمتعت بها الجزائر خاصة في القرنين السادس عشر والسابع عشر

---

[1]– محمود شاكر، التاريخ الإسلامي(العهد العثماني)، ط 4، المكتب الإسلامي، بيروت، 2000 م، ج 8، ص 521.

[2]– علي تابليت، "البحرية الجزائرية عبر التاريخ، من القرن 14 الى القرن 19 ميلادي"، مجلة أفكار وآفاق، مج 4، العدد 6، الجزائر، 2015م، ص 297.

[3]– صالح كليل، سياسة خير الدين في مواجهة المشروع الاسباني لاحتلال المغرب الأوسط، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، اشراف علي آجقو، جامعة باتنة، 2006 – 2007م، ص 114.

الميلادي، إنما كانت بسبب قوة المؤسسة العسكرية البحرية التي يجمع المؤرخون العرب والأجانب من الأوربيين والأمريكان أنها الأقوى والأكثر تنظيما، وتفوقا بين نظيراتها آنذاك[1].

لقد كان الاهتمام بالبحرية الجزائرية أمرا حتميا تفرضه الظروف المحيطة آنذاك التي جعلت من المؤسسة العسكرية البحرية محورا أساسيا لإيالة الجزائر بالدرجة الأولى، وأمرا طبيعيا لصد هجمات الأساطيل الأوروبية التي كانت تسعى للقضاء على الجزائر التي شكلت عائقا في وجه السياسة التوسعية الأوروبية، دون أن نغفل عن دور البحرية في خدمة الاستراتيجية العثمانية في البحر الأبيض المتوسط [2].

كان للجزائر رجال في البحرية كرسوا حياتهم في خدمة الجزائر والإسلام صنعوا للبحرية الجزائرية سمعتها في أعالي البحار وفي بلاطات الحكومات الأوروبية بفضل قوتهم، وحجم انتصاراتهم حيث تميزت طائفة رياس البحر الجزائريين بالمهارة والحنكة والشجاعة والتنظيم المحكم، ووصفهم الكثير من المؤرخين الأجانب بأنهم بحارة لا نظير لهم في الحروب التي يخوضونها مع أعدائهم من الأوروبيين، وقد أظهروا حماسة لنصرة الدين الإسلامي تجعلهم يكللون غالبا بالنجاح، وكانت سفنهم تشكل القسم الغربي للأسطول العثماني، ولم يقتصر دور هذا الأسطول على الجهاد البحري ومهاجمة الأساطيل المعادية للإيالة وحماية سواحلها فقط بل كان له دورا مهما على الصعيد السياسي فيها[3].

أصبح نظام الرياس قائما في الايالة منذ القرن السادس عشر الميلادي، وذلك لأن رجال هذه الطائفة كان لهم كلمة في تسيير شؤون الإيالة، وكانت مصالحهم محفوظة طالما كان البيلربايات يتم اختيارهم من رجال البحرية، ويقول جون وولف أن هؤلاء الرياس

---

[1]– مولود قاسم نايت بلقاسم، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل 1830م، ط2، دار الأمة للنشر والطباعة والتوزيع، الجزائر، 2007م، ج1، ص 69

[2]– حماش، مرجع سابق، ص 139.

[3]– عائشة غطاس وآخرون، مرجع سابق، ص 96.

لم يتركوا مذكرات أو رسائل فيما بينهم عن سنوات خدمتهم في البحرية الجزائرية وجل المعلومات التي يتداولها المؤرخون عنهم هي مجرد انطباعات أخذت عن مصادر أجنبية من البحارة والأسرى الأجانب[1].

أما الاحترام الذي ناله الرياس في نفوس الأهالي فهو نابع من شعورهم بالامتنان اتجاه رجال الطائفة الذين يرون فيهم حماة البلاد من الهجمات الصليبية من جهة، ومن جهة أخرى كانت البحرية تجند رجالا من شتى طبقات المجتمع عكس الانكشارية، كما أنهم كانوا يعون الدور الكبير للجهاد البحري في تخفيف الأعباء الضريبية عن الأهالي، ومساهمة هذا النشاط في رفاهية سكان المدن من البحارة والتجار [2].

بالرغم من الشهرة العالمية التي نالها بعض الرياس الكبار أمثال عروج وخير الدين، حسن باضا، درغوث، صالح رايس، وعلج علي، فإن هؤلاء الرجال بعدما أصبحوا بايلربايات وأمراء بحار في الأسطول العثماني عهدوا تسيير الأسطول الجزائري لرياس آخرين أقل شهرة قدموا الكثير من الخدمات للبحرية الجزائرية [3]، مثل مراد رايس وهو علج ألباني[4]، وهناك الكثير من الرياس العظام الآخرين دون شك أمثال علي بتشين وهو إيطالي الأصل[5]، وإيدن رايس، وأرناؤوط مامي وحسن فينزيانو، حسن ميزومورتو، وبكير باشا، والرايس عمر، والرايس مصطفى، والحاج موسى...وغيرهم[1].

---

[1]– وولف، مرجع سابق، ص 131.

[2]–جميل عائشة، مرجع سابق، ص ص 127 – 128.

[3]– جون وولف، مرجع سابق، ص 200

[4]– مراد رايس، علج ألباني دخل في خدمة البحرية بقيادة قارة علي، ثم ترقى الى قيادة قطعة من الأسطول تحت قيادة علج علي أثناء حصار مالطا حيث قام بأسر سفينة صقلية وعليها القائد العسكري العام لصقلية، ثم أسره لسفينة البابوية التي جعلت منه بطلا حقيقيا بين أنداده، وقد وصل على رأس عدة مراكب إلى جزر الكناري وعاد بالكثير من الأسرى المهمين والغنائم، ينظر، جون وولف، المرجع نفسه.

[5]– علي بتشين، علج إيطالي الأصل (اسمه الأصلي Piccinio)، وقع في الأسر سنة 1578 م، أصبح زعيما للطائفة دون منازع ما بين 1630–1645م، والرجل الأقوى في مدينة الجزائر، حتى أنه تفوق على الباشا الذي تم تنصيبه حاكما للجزائر من طرف الباب العالي، إلى درجة أن بعض القساوسة المسيحيين المكلفين بافتداء الأسرى

ومما لا شك فيه أن من أهم العوامل التي زادت من قوة البحرية الجزائرية ومكانتها بين القوى البحرية العالمية هو ذلك النظام المحكم المتبع في تسييرها، حيث يذكر جون وولف أن السفينة إذا دخلت عرض البحر فإن الرايس هو الذي يأخذ زمام الأمور والقيادة وتكون أوامره سارية على جميع من كان على ظهر السفينة مهما كان منصبه من الآغا قائد الانكشارية إلى العبيد والأرقاء[2].

- **أسباب قوة البحرية الجزائرية:**

- موقع الجغرافي الهام وطبيعة سواحلها المفتوحة على أوروبا، إضافة إلى تحكمها في الحوض الغربي للبحر المتوسط على امتداد 1200 كلم.
- التوتر الذي ميز العلاقات بين الدول الأوروبية خاصة العداء بين الملك الفرنسي فرنسوا الأول والامبراطور شارل الخامس ملك إسبانيا والأراضي الجرمانية.
- تفتح البحرية على العنصر الأجنبي الأوروبي مثل الأعلاج (renegats) الذين سمح لهم الوصول إلى المناصب العليا في البحرية بعد إسلامهم وارتباطهم بالجزائر.
- الوازع الديني القوي، والحماس الشديد للدفاع عن الإسلام والمسلمين خاصة بعد سقوط الأندلس وطرد المسلمين منها، وقد شارك الأندلسيون في هذا الحراك الجهادي بمعية الجزائريين والأتراك والأعلاج.
- طبيعة السفن المستخدمة من طرف الجزائريين التي تميزت بالسرعة وسلاسة الحركة خاصة السفن الشراعية وغيرها التي تتلاءم مع الغارات البحرية.
- المهارة والخبرة التي تمتع بها البحارة والرياس الجزائريين، وقدرتهم القتالية العالية[3].

الأوروبيين في الجزائر يتعاملون معه على أساس أنه حاكم الجزائر، وربما هذا ما يفسر موته مسموما بأمر من الباشا، **ينظر أكثر**: هلايلي، التنظيم العسكري للبحرية...، مرجع سابق، ص ص 258 – 259.

[1]– سعيدوني، ورقات جزائرية...، مرجع سابق، ص ص 190– 191.

[2]– جون وولف، مرجع سابق، ص 196.

[3]– سعيدوني، ورقات جزائرية...، مرجع سابق، ص 191.

و الجدير بالذكر بعد كل هذا الزخم الذي رافق نشأة وتطور البحرية الجزائرية في العهد العثماني، أنه بالرغم من استقلالية الأسطول البحري الجزائري في أغلب الفترة العثمانية إلا أن القبودان باشا في الباب العالي وهو القائد الأعلى للأسطول العثماني يمكنه استدعاء الأسطول الجزائري متى رأى حاجة لذلك، ويفقد الأسطول قيادته المستقلة عندما يصل إلى اسطنبول ويصبح جزءا من الأسطول العثماني، وتكون قيادة القبودان الجزائري وفقا لأوامر وتوجيهات القبودان باشا العثماني خاصة في الحروب التي يخوضها العثمانيون ضد إسبانيا وروسيا والتحالفات الأوروبية التي تدعوا لها البابوية، وهذه الطاعة والاستجابة لدعوة العثمانيين ليست فقط في الجزائر إذ نلمس ذلك في كل من البحرية المصرية وتونس وطرابلس الغرب[1].

[1]– حماش، مرجع سابق، ص ص 139–140.

الفصل الثاني

أبعاد التنافس الدولي حول المتوسط

- الخطاب الديني المتعصب وأثره في تأجيج الصراع في المتوسط.
- البعد المادي للمعارك البحرية في المتوسط (الجهاد البحري – القرصنة الأوروبية – غنائم البحر...).
- المعاناة الإنسانية من خلال أدبيات الأسر.

المبحث الأول: الخطاب الديني المتعصب ودوره في تأجيج الصراع في البحر المتوسط

نشئت فكرة الحروب الدينية في أوروبا منذ العصور الوسطى ولكن فشل الحملات الصليبية وحروب الاسترداد وكذا شعور أوروبا بالتهديد العثماني في عقر دارها جعل الفكرة تتأصل في الفكر الأوروبي الحديث، إلى درجة اعتبار الإسلام والدولة العثمانية أمرا واحدا، مثلا اعتناق أحد المسيحيين الإسلام يعبر عنه الأوروبيين آنذاك بعبارة " أصبح تركيا "، بمعنى أن مصطلح تركي أصبح يستخدم عموما للإشارة إلى المسلم في كل اللغات الأوروبية باختلافها[1].

بحلول القرن 16م أصبح الدين موجها رئيسيا لكل الفعاليات والتحركات السياسية، فالكنيسة الكاثوليكية كانت تتدخل في كل شيء، إلى درجة أصبح الدين مرتبط بصفة وثيقة بالضمير الوطني، والأساس الأهم في بناء الوحدة، وقد كان الملوك الإسبان الأكثر تمسكا بالدين والمغالاة في حمل مسؤولية استرجاع الإرث المسيحي وحمايته على عاتقهم[2].

لا شك أن المد الإيبيري الذي شهدته سواحل البلاد الإسلامية في الشمال الإفريقي يندرج ضمن الطموح المسيحي الرامي إلى القضاء على القوى الإسلامية، ويغذي هذا الطموح الحقد الدفين الذي ظل حيا في نفوس الكثير من رجال الدين والحكام الأوروبيين على حد سواء[3]، ومما زاد تشجيع الأطماع الأوروبية خاصة في المغرب العربي هو ذلك التفتت الذي شهده نهاية القرن 15م، هذا التفكك، والتجزئة، وفوضى الحكم خلق نوعا من الإمارات الصغيرة موزعة على طول الساحل الإفريقي من جربة إلى مراكش، وهو مادفع

---

(1)– هنري لورنس، جون تولان، جيل فاينشتاين، أوروبا والعالم الإسلامي (تاريخ بلا أساطير)، ترجمة بشير السباعي، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة 2016م، ص235.

(2)– عبد الجليل التميمي، الخلفية الدينية للصراع الإسباني العثماني وقضية الموريسكيين، مركز الدراسات والبحوث العثمانية والتوثيق والمعلومات، زغوان، 1989م، ص68.

(3)– للمزيد حول الموضوع انظر: عبد القادر فكاير، الغزو الإسباني للسواحل الجزائرية وآثاره (910– 1206هـ / 1505– 1792م)، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2012م.

البرتغاليين إلى سواحل الأطلسي والإسبانيين إلى حصون وموانئ تونس والجزائر، وهذه المطامح اصطدمت وتحطمت أمام مشاريع العثمانيين [1].

انتهج الملوك الإسبان بعد سقوط غرناطة سياسة تهدف إلى القضاء النهائي على كل ما له علاقة بالمسلمين والإسلام، ذلك أن نشوة النصر جعلت منهم يدوسون على كل المبادئ الانسانية، فحاولوا اجتثاث الوجود الاسلامي من شبه الجزيرة الإيبيرية باستئصال الجذور الثقافية والدينية للمسلمين، وتجاوزوا هذا الحد إلى ملاحقتهم إلى شمال إفريقيا في اطار الصراع بين الهلال والصليب[2]، وفي نفس السياق أصبح الملوك الإسبان يرون أنفسهم الملوك الكاثوليك فكل مراسلاتهم المتعلقة بحروبهم ضد العثمانيين تكتسي الصبغة الدينية، يغذيها المنطق الديني المتعصب ويؤججها الخطاب الديني الصادر عن بابوات الكنيسة الكاثوليكية، ويقول بروديل في هذا الصدد [شكل كل من نهوض الحس الديني وعودة فكر الحروب الصليبية في إسبانيا القرن الخامس عشر الميلادي، قاعدة الاندفاع الإمبراطوري لقيام الوحدة الإسبانية...][3]، فمثلا شارلكان الذي كان سيد الغرب المسيحي، يرى فيه الأوروبيون أنه منقذ المسيحيين، ومرهب الكافرين [4].

وتجدر الإشارة أن الملك فيليب الثاني ابن شارلكان كان أكثر تعصبا من أبيه ومن البابا بيوس الخامس نفسه، وقد وضع نصب عينيه تحقيق حلم والده في إخضاع كل من الجزائر وتونس وطرابلس الغرب تحت سيطرة التاج الإسباني[5].

كانت أوروبا عامة والكنيسة البابوية تذكي الحماسة الصليبية ضد الدولة العثمانية والإسلام، من أجل دفع كافة الدول المسيحية للوقوف في وجه التوسع العثماني، متحدية بذلك الخلافات الموجودة بين الدول الأوروبية وتضارب مصالحها، ورغم عقد بعض الدول

---

[1]– نور الدين حاطوم، تاريخ عصر النهضة الأوروبية، ط 2، دار الفكر، دمشق، 1985م، ص ص 462 – 463.

[2]– هلايلي، قضايا البحر الأبيض المتوسط بين...، مرجع سابق، ص 567.

[3]– فرناند بروديل، مرجع سابق، ص 238.

[4]– محمد جميل بيهم، فلسفة التاريخ العثماني...، مرجع سابق، ص 281.

[4]– Souhila Markria, « Lepanto ; un encuentro de màxima rivalidad entre Felipe II y el mundo osmanli » oussour al jadida, vol 7, n27, octobre 2017, p303.

الأوروبية معاهدات مع الدولة العثمانية إلا أنها لم تستطع أن تؤدي كامل إلتزاماتها اتجاه العثمانيين بسبب الروح الصليبية التي تحول دون تحقيق ذلك [1]، خاصة بعد وعيهم أن العالم الأوروبي لم يستطع توحيد جهوده بسبب الانقسام الحاصل بين الكنيستين الإغريقية واللاتينية، زد على ذلك الخصومة بين الملكين فرنسوا الأول وشارك الخامس وهو ما مكن الأتراك العثمانيين من تثبيت وجودهم في البحر الأبيض المتوسط[2].

تجدر الاشارة أن هذا الحقد الصليبي الذي يختلج رجال الدين ويتحكم في طموحاتهم وتوجهاتهم السياسية ليس وليد هذه الفترة بل له جذوره التاريخية الواضحة جدا، حيث نجد أن البابا بيوس الثاني حاول بكل ما أوتي من قدرة خطابية، وحنكة سياسية، أن يؤجج الحقد الصليبي في نفوس النصارى سواء الحكام والقادة العسكريين أو الشعوب، ويظهر تأثيره البالغ في النفوس من خلال استعداد بعض الدول الأوروبية لتحقيق فكرة البابا الرامية إلى القضاء النهائي على الوجود العثماني[3]، إضافة إلى الراهب خيمينيس أسقف طليطلة الذي كان أكبر المشجعين والمحرضين على احتلال المغرب، كما بادر البابا بإصدار قرار يمنح من خلاله الولاية لملوك إسبانيا والبرتغال على الأراضي التي يحتلونها، وبمباركة وتشجيع من البابا اسكندر الرابع تم توقيع معاهدة توردي سيلاس التي يتم بمقتضاها تقسيم المغرب حيث يتولى الاسبان الجهة الشرقية لحجر بادس والبرتغال غربه [4].

فبالعودة إلى معركة ليبانت 1571م نجد أن الداعي والمحرض لتشكيل التحالف الصليبي ضد العثمانيين هو البابا بيوس الأول الذي كان يؤمن أن للمسيحية عدوان هما المروق عن الدين والإسلام، كما أنه يرى أن الدول الأوروبية منفردة لا يمكنها أن تواجه

---

[1]– محمود شاكر، مرجع سابق، ص ص117 – 118.

[2]– هربرت فيشر، مرجع سابق، ص 374.

[3]– ايناس حسني البهجي، تاريخ الدولة العثمانية، مركز الكتاب الأكاديمي، د.ت، ص159

[4]– إدريس الناصر رائسي، مرجع سابق، ص 65.

هذا الخطر العثماني المتعاظم، وبفضل جهود هذا البابا وحنكته ولعبه على وتر الدين استطاع أن يخلق قاعدة تفاهم تجمع شتات أوروبا لمواجهة الخطر الذي يهددها [1].

عقد البابا بيوس الخامس بمعية كل من فيليب الثاني ملك إسبانيا وحاكم جمهورية البندقية في شهر ماي 1571م معاهدة تنص على تعهد الأطراف الموقعة بالسعي وبتضافر الجهود من أجل القيام بهجوم بحري ضد العثمانيين لكسر شوكة الأتراك والمسلمين الذين أضحوا يسيطرون على معظم البحر الأبيض المتوسط، وكان ذلك إقرارا بالتهديد الذي مثلته الامبراطورية العثمانية ضد المسيحية[2].

رغم التنافر الذي وسم العلاقات بين أغلب الدول الأوروبية، خاصة بين إسبانيا جمهورية البندقية، هذه الأخيرة التي تعتبر الجمهورية الإيطالية الوحيدة التي لم تخضع للإسبان حفاظا على مصالحها الإقتصادية والسياسية، إذ نجدها تقف موقف الحياد إزاء الصراع العثماني الأوروبي، إلا أن نداء الكنيسة الكاثوليكية إلى عقد الحلف المقدس الذي يجمع أكبر القوى البحرية الأوروبية من أجل مواجهة العثمانيين في معركة ليبانت 1571 م قد وجد له صدى وتمكن بذلك البابا بيوس الخامس من تكوين العصبة الصليبية المقدسة التي ضمت أساطيل إسبانيا والبندقية وبقية الجمهوريات الإيطالية[3]، كما أن الملوك الإسبان طالما ربطوا السياسة بالدين، إذ يقول الملك فيليب الثاني بأنه يفضل إتلاف أملاكه ومائة حياة لو منحت له، عن السماح باتباع طريق خاطئ للدين، واعتبر أن قضية الدين المسيحي هي قضية إسبانيا[4].

كما أثار التوسع الهائل للدولة العثمانية مخاوف القوى المسيحية مما دفع الكثير منها إلى اعلان الحرب ضدها تتصدر هذه الحروب الراية البابوية التي لم تلقي سلاحها ضد الإسلام منذ العصور الوسطى، ونادى الكثير من البابوات بإخراج العثمانيين من أوروبا

---

[1]– أحمد سالم، السيطرة العثمانية...، مرجع سابق، ص 147.

[2]– عبد الحي رضوان، جهود العثمانيين في...، مرجع سابق، ص 280.

[3]– جميل عائشة، مرجع سابق، ص 154.

[4]– التميمي، الخلفية الدينية...، مرجع سابق، ص 76.

والقضاء عليهم قبل تمكنهم، كأنهم استقرأوا ما سيصل إليه العثمانيين من قوة وسطوة في المستقبل القريب، وكان أبرز هؤلاء البابا كليمنت السابع[1]، وأغلب من خلفوه حملوا نفس الفكر المتعصب ضد الإسلام، ويجدر بنا الإشارة إلى أن هذا التحريض ضد الإسلام ومحاولة بعث الحقد الصليبي، لا يثير فقط الدول والمجتمعات في أوروبا، بل يثير كذلك المسيحيين الذين يعيشون في الدولة العثمانية كرعايا، ويدفع بهم إلى القيام بتحركات ضد الخلافة وتدعمهم الدول المسيحية وهو ما ينتهي إلى قيامهم التمردات والثورات التي تؤدي إلى إنهاك واضعاف الدولة العثمانية [2].

في هذا المناخ المتشبع بالتعصب للدين اقتنع الملك فيليب الثاني بأن مصالح إسبانيا تقتضي التفكير الجدي في مواجهة العثمانيين في معركة بحرية تقضي على التهديد التركي لامبراطوريته، وتبنى بذلك فكرة أن المواجهة ليست مجرد معركة عسكرية تتضمن محتوى اقتصادي بل تتجاوز ذلك إلى كونها صراع حضاري بين المسيحية التي تشمل الدين والموروث الاغريقي والروماني والقومية الأوروبية ضد العدو الرئيسي في تلك الفترة وهو الاسلام الممثل في الدولة العثمانية [3].

---

[1]– شطب، مرجع سابق، ص ص 51 – 52.

[2]– محمود شاكر، مرجع سابق، ص 118.

[3]– بن الصحراوي، الصراع الاسلامي المسيحي ومؤشراته....، مرجع سابق، ص 576.

المبحث الثاني: البعد المادي للصراع العثماني الأوروبي (الجهاد البحري، القرصنة الأوروبية، ولصوصية البحر...).

أطلق على المعارك والحروب البحرية التي شهدها البحر الأبيض المتوسط في القرن 15م، 16م مصطلح القرصنة رغم أن القرصنة كظاهرة بحرية هي قديمة قدم التاريخ إلا أن هذه الفترة شهدت ازدهارا كبيرا لنشاطها في البحر المتوسط، وقد مارسها المسلمون والمسيحيون على حد سواء، سواء في حالات الحرب أو السلم، لكنها اتخذا بعدا آخر بعد سقوط حكم المسلمين في الأندلس واستمرار الحروب الاسبانية ضد المسلمين وانتقال الصراع سواحل شمال إفريقيا[1]، وتميزت عن غيرها بالضوابط حسب فرناند بروديل في أطروحته الجامعية بعنوان المتوسط والعالم المتوسطي، إذ يقول [...القرصنة ظاهرة قديمة في المتوسط، لكنها تختلف عنها في الأطلسي في أن الأولى لها قواعدها وأعرافها وتقاليدها، إذ كانت تعقبها مفاوضات بين الدول والمدن التي كانت تقوم بينها إلى تبادل القناصل صلات قوامها التواطؤ الذي يشترك فيه الأغنياء والدول إلى جانب الفقراء التائهين][2].

هذه الظاهرة عرفها البحر المتوسط منذ أن تمكن الانسان من صناعة السفن وممارسة الملاحة في البحر، أدى الجهاد البحري الذي تبنته البحرية الجزائرية في الفترة العثمانية إلى خلق نوع من التوازن بين ضفتي البحر الأبيض المتوسط، حيث نجد أن ضفته الشمالية شهدت ظهور قوميات أوروبية حديثة تغذيها النزعة التوسعية والسعي إلى السيطرة، والضفة الجنوبية بعدما كانت تحت حكم ثلاث دول متنافسة ومتناحرة فيما بينها (بنو حفص في تونس، وبنو زيان في الجزائر، وبنو مرين في المغرب الأقصى)ثم دخولها في فلك الصراع العثماني الإسباني لتظهر بذلك إيالات الجزائر وتونس وطرابلس الغرب[3].

---

[1]– جون جوليوس نورويش، الأبيض المتوسط " تاريخ بحر ليس كمثله بحر"، مرجع سابق، ص 343.

[2]– فرناند بروديل، مرجع سابق، ص 151.

[3]– سعيدوني، ورقات جزائرية...، مرجع سابق، ص 192.

أهم ما ميز الفترة التي سبقت الوجود العثماني في الجزائر هو تلك الفرقة والعداء التي وسمت العلاقات بين المسلمين في بلاد المغرب، ولكن بفضل الجهاد البحري الذي قادته الجزائر خلال القرن السادس عشر، تم توحيد الصفوف بين المسلمين، حيث أصبحوا بمثابة كتلة حضارية واحدة تحت الراية العثمانية التي وقفت في وجه المد الإيبيري على السواحل المغاربية، خاصة بعد سقوط العديد من المدن الساحلية في يد الإسبان وتطور فيما بعد إلى تهديد بالاحتلال الشامل لبلاد المغرب الإسلامي[1]، وكان الجهاد البحري للمسلمين قد لفت أنظار أوروبا المسيحية، خاصة نشاط المجاهدين الجزائريين، الذين وجهو هجماتهم باتجاه السفن والسواحل الأوروبية، وتسببوا بكثير من الازعاج والمتاعب لدول الضفة الشمالية للبحر المتوسط، وقد تزامن هذا النشاط مع مشاريع الدولة العثمانية في المتوسط[2].

تتراوح الآراء التي تفسر السبب الرئيسي للجهاد البحري بين من يفسره بالاضطهاد الذي كان موجها ضد المسلمين في الأندلس، وبين من يفسره بالسعي وراء الحصول على المداخيل والثروات التي كان يدرها هذا النشاط[3]، ففي أوائل القرن 16م تم وضع حد للتسامح المتبادل بين المسلمين والمسيحيين خاصة في التجارة البحرية وذلك نتيجة للاضطهاد والطرد لمسلمي الأندلس وظهور البحرية العثمانية في البحر المتوسط، فقد أسس المسلمون المنفيون من إسبانيا مستوطنات على طول سواحل شمال، ثم وجهوا غاراتهم ضد سواحل إسبانيا ومهاجمة السفن المسيحية، وبخاصة في مضيق جبل طارق والمنطقة البحرية المحيطة بجزيرة مالطا[4]

يبدو أن نقطة الاختلاف الحقيقية في الكتابات التاريخية هي المتعلقة بشرعية هذا النشاط، حيث أثارت هذه المسألة اختلافا بين المؤرخين إذ نالت الحظ الوافر من الاهتمام خاصة لدى المؤرخين الغرب، فبعد خضوع الجزائر للحكم العثماني ومنذ تنصيب خير

---

[1]– سعيدوني، ورقات جزائرية...، مرجع سابق، ص 192

[2]– هلايلي، القضية الموريسكية في الفضاء العثماني الجزائري...، مرجع سابق، ص 323.

[3]– شطب، مرجع سابق، ص 55.

[4]– أحمد عبد الرحيم مصطفى، مرجع سابق، ص 92.

الدين بربروس بيلربايا عليها، عرفت نظاما إداريا وسياسيا وعسكريا وكذا اجتماعيا مهد لها بأن تصبح قاعدة للإسلام والمسلمين وعرفت بدار الجهاد أو دار السلام[1]، بينما نجد أن ما يصطلح عليه هؤلاء المؤرخين الغرب بالقرصنة يقترن في كتاباتهم بالبحرية الجزائرية، ويرد ذلك بعدة أوصاف مثل: اللصوصية، السرقة، النهب...، كما وصفت الجزائر بوكر القراصنة، ومملكة القرصان وغيرها من الأوصاف، على الرغم من أن كل الدول الأوروبية كانت تمارس هذا النشاط ضد الدول المعادية، شأنها شأن الجزائر التي مارست هذا النشاط في إطاره الشرعي وفق ما ينص عليه قانون البحار[2].

بالعودة إلى مصطلح القرصنة نجد أن معناها هو عملية النهب والسلب التي تحدث في البحر، وتعريفها بطريقة إجرائية فيمكن القول أنها تطلق على كل عمل يقوم به فرد أو جماعة محدودة العدد بهجوم مسلح في البحر مستخدمين السفن المسلحة لسلب ما تحمله سفن الغير دون أن تكون هناك عداوة سابقة أو حرب معلنة بين الطرفين[3]، وبذلك يكون الفاصل بين القرصان والبحار هو أن القرصان لا يعترف بأي سلطة تقيد إرادته، أو يظهر الولاء لأي حاكم، بل كان القراصنة يهاجمون بدون تمييز سفن أي دولة، فقط يتتبع مصلحته الخاصة وهدفه الوحيد هو السلب والنهب، بينما رياس البحر كانوا يتمتعون بالشرعية كونهم موكلين من طرف أمراء أو حكام بلدانهم، ويوجهون أنشطتهم ضد أعداء بلدانهم أو أعداء دينهم[4].

بهذا التوصيف العلمي فإن الأعمال التي تقوم بها القوات المسلحة التابعة لأي بحرية تحت تصرف دولة مستقلة ومعترف بها في الدفاع عن سواحلها ضد سفن الدول المعادية لا يمكن أن يطلق صفة القرصنة، ومنه فإن العمليات التي كان يقوم بها البحارة المسلمون

---

[1]– حمادي، مرجع سابق، ص 194.

[2]– عائشة جميل، مرجع سابق، ص 125.

[3]– رأفت غنيمي الشيخ، دراسات أفريقية في التاريخ الحديث والمعاصر، ط1، القاهرة، 2011م، ص 200.

[4]– جون وولف، مرجع سابق، ص 179.

في البحر الأبيض المتوسط ضد سفن إسبانيا والبرتغال وفرسان القديس[1] يوحنا خلال العهد العثماني، هي عبارة عن جهاد بحري جاءت كرد فعل للتجاوزات التي تقوم بها الدول الأوروبية في مقدمتها إسبانيا، وكذا ردا للهجمات والتحالفات المسيحية ضدها، والاضطهاد الذي عانى منه المسلمون في أوروبا[2].

في هذا السياق نضرب مثلا بفرسان القديس يوحنا الذين استوطنوا جزيرة مالطا بعدما سقطت جزيرة قبرص في يد العثمانيين، نجدهم يستولون على كل السفن التجارية الإسلامية التي يتمكنون منها، ويجعلون من البحر الأبيض المتوسط غير آمن على الحجاج المسلمين والتجار الذين يتنقلون من الولايات العثمانية الغربية إلى المشرق، ورغم ذلك كانوا يرفعون الصليب ويدّعون أن الله يبارك أعمالهم[3]، والغريب في الأمر أنه قبيل الوجود العثماني في الجزائر وبعد سقوط غرناطة تعرضت الكثير من المدن والموانئ الساحلية للاحتلال الإسباني، كما تعرض المسلمين في هذه الفترة لأقسى أنواع الاضطهاد الديني من قبل المسيحيين، وعندما انتفض المسلمون للدفاع عن أنفسهم واستنجدوا بالعثمانيين من أجل تحرير بلادهم أطلق عليهم الكتاب والمؤرخين الأوروبيين والغرب بصفة عامة تسمية القراصنة، وتعابير أخرى تصفهم بالهمجية والبربرية[4].

لم تكن القرصنة الأوروبية موجهة ضد السفن الإسلامية فقط، حيث نجد مثلا السفن الإسبانية والفرنسية عانت كثيرا من القرصنة الإنجليزية، سواء في حالات السلم أو

---

[1]– فرسان القديس يوحنا الأورشليمي أو فرسان الأسبتارية(أي فرسان المستشفى)، وهم فرقة صليبية وجماعة دينية محاربة نشأت في جزيرة مالطا، وقد انبثقت عن الجماعة الأم والمشهورة باسم فرسان المعبد التي كانت لها شهرة واسعة في الحروب الصليبية هذه الأخيرة تأسست كجماعة خيرية لرعاية المسيحيين في الأراضي المقدسة، حيث أسسوا مستشفى قرب كنيسة القيامة في بيت المقدس في فلسطين ومنها عرفوا بفرسان الأسبتارية، أقامت هذه الفرقة في جزيرة رودس ثم تحولوا إلى طرابلس الغرب، ثم مالطا، محمد العروسي المطوي، الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1982، ص ص 96، 97.

[2]– رأفت غنيمي الشيخ، مرجع سابق، ص201.

[3]– هنري لورنس، مرجع سابق، ص 294،]نظر أيضا: نور الدين حاطوم، مرجع سابق، ص 463.

[4]– غنيمي، نفس المرجع، ص 204.

الحرب، كما تعرض الإسبان للقرصنة الفرنسية، وفي هذه الحالات نجد أن المؤرخين الأوروبيين يحاولون تلطيف اللفظ بوصفها بأعمال اللصوصية الفردية، بينما يبدوا واضحا أن هؤلاء القراصنة مدعومين من طرف الدول الأوروبية مثل قراصنة الاسكوك وهم اللاجئون من المناطق التي فتحها العثمانيون تم منحهم أحد موانئ الساحل الأدرياتيكي من طرف ملوك الهابسبورغ من أجل استقرارهم فيه وممارسة أعمالهم[1].

يجدر الإشارة إلى أن ما جاء في الكتابات التاريخية الغربية عن أنشطة الجهاد البحري والنتائج المترتبة عنها والقصص التي تحاك في هذا السياق والتي تكاد تلامس الخيال في بعض الأحيان يتخللها الكثير من التضخيم والمبالغة في الوصف، ولا يجب التعاطي كثيرا مع مثل هذه الكتابات والادعاءات الواردة فيها، خاصة التي ترى في نشاط البحرية العثمانية والجزائرية بأنها عملا لصوصيا[2].

أما النقطة التي لا يختلف فيها المؤرخون بخصوص الأنشطة البحرية والغنائم التي تدرها بغض النظر عن مشروعيتها من عدمه، هو أنها كانت نشاطا مربحا على جميع الأصعدة، وأن الكثير من المدن الساحلية التي توجد بها موانئ كبيرة قد نالت حظا وافرا من عائدات البحر مما أدى إلى ازدهار الحياة الاقتصادية والاجتماعية بها مثال ذلك مدينة الجزائر أما إذا كانت قرصنة مضادة فإنها تصبح بمثابة حرب استنزافية ومعرقلة لمصالح الدول المعرضة لها [3].

---

[1]– منور مروش، دراسات عن الجزائر في العهد العثماني (القرصنة الأساطير والواقع)، ج2، دار القصبة، الجزائر، 2009م، ص148.

[2]– هلايلي، قضايا البحر الأبيض المتوسط بين الجهاد والصليبية...، مرجع سابق، ص574.

[3]– حنيفي هلايلي، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط1، دار الهدى، عين مليلة، 2008م، ص 73.

المبحث الثالث: المعاناة الإنسانية من خلال أدبيات الأسر والقرصنة

هناك مشكلة تاريخية تتعلق بالتعداد الحقيقي للأسرى الأوروبيين في الجزائر خلال العهد العثماني، وذلك لكون التقديرات الرقمية المتداولة والمطروحة مستخرجة من مصادر أوروبية، مبالغ فيها أحيانا ومتناقضة أحيانا أخرى، ولا يوجد في المصادر المحلية ما يؤكد هذه الاحصاءات أو ينفيها، وتذكر المصادر أن عدد الأسرى الأوروبيين في الجزائر قد بلغ عددهم سنة 1578 م حوالي 25.000 أسير من قوميات أوروبية مختلفة، منهم الفرنسيين والإيطاليين والإسبان والمالطيين...وغيرهم، ثم سجل عددهم ارتفاعا في مدينة الجزائر سنة 1635م ليبلغ 30.000 أسيرا، لكن مع بداية القرن 18م يلاحظ تراجع في عدد الأسرى من 10.000 سنة 1700م إلى 2000 سنة 1738م، ويستمر العدد في التناقص حتى يصل إلى مابين 122 و500 أسير[1].

و على الأرجح قد تكون هذه الأرقام مجرد تخمينات فقط، لأن في هذه الفترة لم يكن هناك اهتمام بالإحصاء سواء السكان أو الأسرى، وكانت معظم عمليات الأسر في البحر تقع دون معارك كبرى، وانما عن طريق مباغتتها في أعالي البحار خاصة إذا كانت هذه السفن غير مزودة بأسلحة أو مدافع وبعيدة عن الشاطئ فإنها لن تنجوا من الأسر، كما أسر آلاف من القروبين بعد الغارات على القرى والمناطق الساحلية [2].

كان لوجود الأسرى الأوروبيين في مدينة الجزائر تأثيرا كبيرا على بنية المجتمع الجزائري، خاصة بعد تزايد أعدادهم ابتداء من القرن 16 م نظرا لانتعاش نشاط الجهاد البحري، وكان يتم بيعهم في سوق الأسرى وفق قوانين معينة يلتزم بها الباعة والمشترون،

---

[1]– حنيفي هلايلي، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، مرجع سابق، ص 69.

[2]– جون وولف، مرجع سابق، ص ص 208 – 209.

ويتم تحديد أسعارهم كل حسب موقعه الاجتماعي في بلاده الأم وكذا المواهب والحرف التي يتمتع بها، حيث كان الداي يختار بنفسه الأسرى الذين كانوا من نصيبه[1].

- **طرق وظروف الأسر في الجزائر:**

زاد عدد الأسرى الأوروبيين في الجزائر بعد نجاح خير الدين في الاستيلاء حصن البنيون سنة 1529 م بسبب زيادة حماسة رياس البحر الجزائريين في الجهاد البحري، وقد كانت طرق الأسر متنوعة حسب ما تقتضيه الظروف العامة، وأهم هذه الطرق:

- الاغارة على السواحل الأوروبية حيث شكلت سواحل دول جنوب وغرب أوروبا أهدافا مباشرة للغارات التي قادها البحارة الجزائريين خاصة: سواحل جنوة، نابولي، ليفورن، سردينيا، كورسيكا، صقلية، مالطا... وهي كذلك الأماكن نفسها التي يتركز بها القراصنة المسيحيين وينطلقون منها في غاراتهم ضد البحارة الجزائريين [2].
- المواجهات البحرية واعتراض سبيل السفن المعادية في عرض البحر، مثال على ذلك السفينة الجزائرية التي اوقفت مركبا اسبانيا كان يحمل على متنه العديد من الأشخاص من بينهم الشاعر الإسباني ميغال دي سيرفاتيس بمعية أخيه رودريغو عام 1575و قادما من إيطاليا ومتوجها إلى إسبانيا برفقة مركبين آخرين وتم أسرهم في نواحي السواحل الفرنسية[3]
- الهجوم على المستعمرات الإسبانية في الجزائر مثل الاغارة على الحاميات الإسبانية المتواجدة في حصن البنيون، إذ أن الإسبان كانوا يهددون مدينة الجزائر انطلاقا من هذا الحصن منذ بنائه طرف الكونت بيدرو نافارو سنة 1510 م[4].

---

[1]– عائشة محمة، الأسرى الأوروبيون في مدينة الجزائر ودورهم في العلاقات بين الجزائر ودول الحوض الغربي للمتوسط خلال القرنين 16 م – 17 م، رسالة ماجستير، إشراف عمار بن خروف، جامعة غرداية، 2011 – 2012 م، ص 10.

[2]– عائشة محمة، مرجع سابق، ص 11.

[3]– نفس المرجع، ص 13.

[4]– نفس المرجع، ص 14.

- الوقوع في الأسر من خلال الحملات العسكرية الأوروبية على مدينة الجزائر، خاصة الإسبان الذين اتسمت العلاقات معهم بالعداء أغلب الأحيان، ومثلت الحملات العسكرية ضد مدينة الجزائر أحد مظاهر هذا العداء مثل: حملة شارل الخامس على مدينة الجزائر سنة 1541 م التي تصدى لها حسن آغا ابن خير الدين بمساعدة أهالي مدينة الجزائر [1].

عند وصول الأسطول البحري إلى الميناء لإنزال الغنائم يقوم وكيل الحرج بإحصائها ومن ضمنها الأسرى، ثم يتم تقسيمهم فيحصل الداي على ثمن العدد 8/1 من الأسرى، والباقي يوجه إلى سوق العبيد في مدينة الجزائر التي تسمى سوق البادستان Badistan[2] حيث يتم عرضهم للبيع عن طريق المزاد[3]، كما خصصت الحكومة الجزائرية في العهد العثماني أماكن لإقامة الأسرى المسيحيين وهي عبارة عن سجون أطلق عليها اسم البانيو وهو الحمام، وهي كلمة فرنسية Bagne، ويعتقد البعض أنها مشتقة من كلمة إيطالية Bagno، بينما يرى آخرون أنها جاءت من الكلمة الإسبانية Bano، وهي عبارة عن منشأة مخصصة للأسرى المسيحيين في الجزائر، ويسمى بالتركية Zindan[4]، بينما ذكرها وليام سبينسر في كتابه الجزائر في عهد رياس البحر باسم البانيولار Banyolar ووصفها بأنها عبارة عن مقاصف صغيرة Barraks[5].

---

(1)– عايشة محمة، مرجع سابق، ص 15.

(2)– البادستان أو البابستان أو البازستان هو سوق يعود تاريخ إنشائه إلى ما قبل 1573 م أسسه الباشا حسن فنزيانو على أنقاض فندق صغير، خصص لبيع كل ما يتم جلبه من طرف البحارة بعد رجوعهم من الجهاد البحري بما فيها الأسرى، وهو مساحة مربعة تحيط بها أربع أروقة مغطاة يجتمع فيها الدلالون والزبائن والأسرى ن وتحيط بهذه الأروقة المشكلة للسوق مجموعة من الدكاكين بلغ عددها 36 دكانا، وكان لهذا السوق بابان، أحدهما على الجهة الجنوبية أين يقع سوق الرصايصية، وينفتح الأخر على جهة الغرب أين يقع سوق البشماقجية، وبعد تراجع عائدات الجهاد البحري تم تحويله إلى سوق خاصة ببيع الأقمشة وأدوات الخياطة والتطريز، ثم بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر تم تحويله إلى مقر لإدارة الحبوس، وأطلقت على الشارع الذي يقع فيه اسم شارع ماهون، عائشة محمة، مرجع سابق، ص 16.

(3)–رحمونة بليل، القناصل والقنصليات الأجنبية بالجزائر العثمانية 1564 – 1830 م، أطروحة دكتوراه في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، إشراف دحو فغرور، جامعة وهران، 2010 – 2011 م، ص 189.

(4)–بلقاسم قرباش، بانياوات الأسرى المسيحيين في الجزائر خلال العهد العثماني 1519 – 1830 م، مجلة دراسات تاريخية، العدد 1، ديسمبر 2013 م، ص 133.

(5)– سبينسر، مرجع سابق، ص 56.

يعود تأسيس هذه السجون إلى القرن 16 م، حيث كان هناك إثنان منها فقط هم السجن الكبير ويسمى أيضا سجن الملك لأن خير الدين هو من أسسه وقد بلغ طوله 35 مترا وعرضه 20 مترا، مما جعله يستوعب عددا كبيرا من الأسرى حيث وصل عدد نازليه في فترة حكم الباشا حسن فنزيانو ما بين 500 إلى 2000 أسير، والثاني سمي سجن الباستارد الذي تم تقسيمه إلى عدة غرف مخصصة للأسرى المكلفين بالأعمال العامة وهم من الأسرى التابعين للدولة، بالإضافة إلى سجون أخرى مثل سجن الديوان، سجن شبلي، سجن سانت كاثرين، سجن الغاليرات، سجن سيدي محمودي... [1].

يذكر الأب دان في تقريره أن عدد البانياوات في مدينة الجزائر قد وصل إلى 6 بانياوات تضم حوالي 30.000 أسير[2]، يقومون بالعمل في مهن مختلفة كإصلاح السفن والعمل في خدمة اسيادهم،

ذكرت عدة روايات أوروبية عن سوء المعاملة الذي يتلقاه الأسرى الأوروبيين خاصة منهم القساوسة من طرف الموريسكيين وذلك بسبب ما يحمله هؤلاء في ذاكرتهم عن سوء معاملة محاكم التفتيش لهم[3]، أما بالنسبة للطعام واللباس فقد كان يختلف من أسير إلى آخر حسب الوظيفة التي يقوم بها، إذ يختلف طعام المجدفين عن طعام المشتغلين في الأعمال الشاقة، وتختلف ظروف الإقامة في الجزائر بين الأسرى العاملين في الأعمال العامة الذين يصفهم بعض الكتاب الأوروبيين انهم يرثى لحالهم، وبين هؤلاء الذين يعملون عند كبار الموظفين في الدولة والأغنياء من الأتراك والعرب الذين يتمتعون بإقامة محترمة وغذاء جيد ولباس فاخر[4]، أما الأسرى الأسوء حالا من سابقيهم هم أولئك الذين يبتاعهم المزارعين، إذ كانوا يتحملون أعباء الأعمال الشاقة والمجهدة، دون توفير الغذاء الجيد أو المسكن المناسب، كما اعتبرهم بعض المالكين بأنهم استثمار، وذلك بتأجيرهم كعمال لمن يطلب ذلك كالعمل مجدفين على السفن أو إفراغ البضائع في الميناء، ثم يتم

---

[1]– إبراهيم سعيود، جهود الكنيسة البابوية في تحرير الأسرى الأوروبيين في الجزائر خلال العهد العثماني(مقاربة تاريخية)، مجلة الحوار المتوسطي، العدد 15– 16، جامعة سيدي بلعباس، مارس 2017 م، ص 419.

[2]– بلقاسم قرباش، بانياوات الأسرى...، مرجع سابق، ص 131.

[3]– بليل، مرجع سابق، ص 191.

[4]– قرباش، نفس المرجع، ص 138.

تقديم الأجرة للمالك، أو يتركهم المالك يتدبرون العمل ثم يدفعون شطرا من أجرتهم له كل أسبوع وهذا مناسب بالنسبة للأسرى الذين لهم حرف يجيدونها[1].

و يبدو أن الكتابات الأوروبية لطال ما سعت إلى تشويه صورة الجزائر خلال الفترة العثمانية، في كثير من الجوانب ومن بينها المعاملة السيئة للأسرى والأرقاء الأوروبيين، وهذا ما أشار إليه وليام سبينسر في سياق حديثه عن البانياوات [...التي صممت للأسرى المسيحيين لهي بعيدة كل البعد عن أن تكون بمثابة حفر كما تصورها الأساطير الأوروبية المتعلقة بالمعاملة السيئة للعبيد، وإنما هي شبيهة في حسن تجهيزها بالأحياء المخصصة للأوجاق...][2].

في الضفة المقابلة من البحر الأبيض المتوسط يقبع كذلك الأسرى الجزائريين والمسلمين في السجون الأوروبية خاصة في مالطا، إيطاليا، فرنسا، وإسبانيا، ويبدوا كذلك أن سوء حظهم قادهم إلى معاناة الأسر والإسترقاق، في الحروب البحرية أو باعتبارهم قباطنة للسفن الإسلامية التجارية، أو مسافرين وحجاج تم التعرض لهم من طرف القراصنة الأوروبيين، حيث كان سوق الرقيق في مالطا لا يقل نشاطا عن نظيره في الجزائر[3]، كما نشطت أسواق أخرى لبيع الأسرى في أوروبا مثل سوق ليفورنو الذي شهد في القرن 17م ارتفاعا رهيبا في عدد الأسرى حيث استولت البحرية التوسكانية سنة 1681م على ثلاث سفن جزائرية وأسرت 91 شخصا كانوا على متنها وفي سنة 1687 منفس البحرية أسرت 500 من الرجال الجزائريين وسبعين آ خرين في حادثة أخرى في نفس السنة [4]، إضافة إلى سوق روما، صقلية، البندقية، وجنوة.

إن الأسرى المسلمين المتواجدين خاصة في دول جنوب أوروبا خلال القرون الوسطى المتأخرة والفترة الحديثة ينتمون إلى طبقات اجتماعية مختلفة من جنود وقادة وتجار

---

[1]– جون وولف، مرجع سابق، ص 230.

[2]– سبينسر، مرجع سابق، 56.

[3]– وولف، مرجع سابق، ص 236.

[4]– إبراهيم سعيود، وثيقة بابوية تتعلق بتعميد الأسرى المسلمين – قراءة تاريخية–، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 15 –16، جامعة الجزائر، 2012 – 2013 م، ص 253.

وعمال بسطاء، وتم تسخيرهم في قطاعات متنوعة كفلاحين وحرفيين وخدم، واستخدموا أيضا للتجديف في سفن البابوية [1].

و بذلك لا يمكن فهم حياة الأسر عند الطرفين إلا بإجراء مقارنة بينهما، فبالبحث في حال الاسرى المسلمين في أوروبا نجد أن حتى الذين خضعوا للعمودية سواء مخيرين أو مجبرين فإنهم بقوا عبيدا رغم أنهم تخلوا عن الإسلام واعتنقوا المسيحية[2].

يبدوا أن الأسرى المسلمين في الدول المسيحية لم يكونوا يتمتعون بنفس المعاملة الحسنة التي يجدها الأسرى المسيحيين في الجزائر خاصة منهم من اعتنقوا الإسلام وأصبحوا أعلاجا، فنجد منهم من استطاع أن يكون ثروة ويعيش حياة عادية، ومنهم من اعتلى مناصب سامية في الدولة ووصلوا حتى إلى سدة الحكم، مثل الأعلاج الأوروبيين وعلى رأسهم علج علي باشا الذي تقلد منصب بيلرباي الجزائر ثم عينه السلطان العثماني سليم الثاني قبودان داريا أي القائد الأعلى للأسطول البحري العثماني، وهناك مثال آخر يفرض نفسه للذكر وهو الأسير تيدنا الذي كان يتنقل تاجرا وبحارا بين سواحل إيطاليا ومارسيليا، وبعد وقوعه في الأسر على يد البحارة الجزائريين انتهى به الأمر في بايلك الغرب عند الباي محمد الكبير الذي عينه في منصب خزندار أي وزيرا، وبعد جمعه المال استطاع أن يفتدي نفسه ويعود حرا إلى بلاده [3].

هناك الكثير من الرسائل التي يبعث بها هؤلاء الأسرى إلى أهلهم في أوروبا، والتي اتسمت بالمبالغة في وصف معاناتهم تحت وطأة الاسترقاق والعبودية، وقد يكون الهدف من ذلك استعطاف الكنيسة البابوية والجمعيات الدينية والمدنية للمساهمة في جمع الأموال لافتدائهم[4].

---

[1]–إبراهيم سعيود، مرجع سابق، ص 256.

[2]– قرباش، مرجع سابق، ص 139.

[3]– تيدنا، مذكرات تيدنا، ترجمة حميدة عميراوي، دار الهدى، عين مليلة، 2003، ص47 وما يليها، أنظر أيضا: احميده عميراوي، قضايا مختصرة في تاريخ الجزائر الحديث، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، 2005 م، ص 31.

[4]– سعيود، جهود الكنيسة البابوية في تحرير...، مرجع سابق، ص 420.

إن الرسائل التي يرسلها الأسرى المسلمين الذين تم استرقاقهم في الدول الأوروبية مثل إيطاليا كانت كلها تشير إلى المعاناة والعذاب الشديد والرغبة في الحرية والعودة إلى الأوطان [1]، رغم صعوبة حياة الأسرى والأرقاء في كلا الطرفين إلا أن جون ب وولف يحاول أن يعطي رأيا معتدلا ووسطيا في قوله [... ومن الواضح أن حياة الأرقاء كانت صعبة، وأن حياة أولئك الذين يوثقون في المجاديف كانت أصعب جدا، وما دمنا نعرف أكثر عن أرقاء السفن الإسلامية من معرفتنا للأرقاء المسلمين في البيوت المسيحية أو المزارع المسيحية، فمن الممكن أن نفترض أن الرق في الجانب الجنوبي من البحر الأبيض كان أخف وطأة من الرق على الجانب الشمالي منه، ولكن هذا الافتراض يجب أن يبقى محل شك][2].

- **الحياة الدينية للأسرى:**

بالنسبة للأسرى الصغار فإن مالكيهم يقومون بتنشئتهم على تعاليم الدين الإسلامي ويزرعون فيهم حب الله والبلاد والإخلاص لها والجهاد في سبيلها، خاصة الأطفال الذين تقل أعمارهم عن العشر سنوات وهذا يحول دون ارجاعهم إلى بلدانهم أو افتدائهم ولكنهم يستطيعون افتداء أنفسهم بعدما يكبرون ويسمون الأعلاج أو المهتدون بينما يسميهم الأوروبيون بالمرتدينRenégats ، وقد تمتع الأعلاج بنفس الامتيازات التي تمتع بها الأتراك، ويذكر هايدو أن الأعلاج المنتسبين لرياس البحر قد بلغ عددهم 22 علجا في القرن 16 م، وقد كان لهم دورا كبيرا في قوة الجزائر وتصديها للهجمات الأوروبية [3].

أما الأسرى الذين حافظوا على مسيحيتهم فقد ترك لهم الحرية في ذلك وسمح لهم ممارسة شعائرهم الدينية، وخصصت لهم أماكن للعبادة، وأقيمت لهم كنائس داخل

---

[1]– سعيود، وثيقة بابوية تتعلق بتعميد الأسرى المسلمين...، مرجع سابق، ص 257.

[2]– وولف، نفس المرجع، 238.

[3]– محمة، مرجع سابق، ص 37.

السجون، مثلا تم إقامة كنيسة تحمل اسم القديس روش في السجن الذي يملكه علي بتشين وكنيسة سجن سانت كاثرين التي تحمل ذات الاسم[1].

بينما في الضفة الأخرى للمتوسط أصدر البابا باولو فرنيز قرارا شخصيا مؤرخ بتاريخ 8 نوفمبر 1548 م، وينص هذا القرار على تحويل وضع الأسرى المسلمين من أسرى يمكن افتدائهم إلى عبيد يطبق عليهم قانون العبودية ويفرض عليهم التعميد، وتم تعميم هذا القرار على محافظي روما الذين نشروه بتاريخ 12 جانفي 1548 م[2].

أما بالنسبة لعمليات تحرير الأسرى فتتم عادة بالافتداء وهي عمليات صعبة ومعقدة تخضع من جهة لطبيعة العلاقات بين الجزائر والدول الأوروبية ومن جهة أخرى الحصول على المبالغ المطلوبة لذلك، ويكون دفع الفدية إما عن طريق التجار اليهود الذين لديهم وكلاء في أهم المدن التجارية في أوروبا مثل مارسيليا، ليفورن، أو عن طريق القساوسة ورجال الدين المسيحيين الموكلين بمهمة الافتداء، إذ كانوا يهتمون بجمع الأموال اللازمة والمتمثلة في الهبات والصدقات من مختلف البلدان المسيحية إضافة إلى أموال أهل الأسرى الميسورين[3]، وقد كان متوسط ثمن افتداء الأسرى ما بين 125 و150 قرشا إسبانيا خلال القرنين 16- 17 م [4].

كما لعب القناصل دورا في عمليات الافتداء وذلك من خلال الإشراف المباشر على هذه العمليات، وقد يتولى أيضا القناصل الأوروبيين مسألة التفاوض من أجل تحرير مواطنيهم وبني جلدتهم حسب ما تنص عليه المعاهدات، وهي أساسا من ضمن واجباتهم اتجاه رعاياهم في الإيالة[5].

---

[1]– سعيود، جهود الكنيسة البابوية في تحرير الأسرى...، مرجع سابق، ص 419.

[2]– سعيود، وثيقة بابوية تتعلق بتعميد...، مرجع سابق، ص 241.

[3]– بليل، مرجع سابق، ص 190.

[4]– منور مروش، مرجع سابق، ص 209.

[5]– بليل، مرجع سابق، ص 195.

قد تقع بعض الصعوبات في عمليات الافتداء، وهي مرتبطة بطبيعة العلاقات التي تربط الدولة الجزائرية بالبلد الأصلي للأسير، وتحدث هذه الصعوبات خاصة في افتداء الأسرى الأوروبيين حيث غلب طابع العدائية بين البلدين منذ القرن 16م الى غاية تحرير وهران 1792م [1].

أما بالنسبة للأسرى المسلمين فكما ذكرنا سابقا فإن قرار التعميد الإجباري ينهي حرية هؤلاء الأسرى بشكل قطعي لا رجعة فيه، ويحولون مباشرة للعمل في الأملاك العامة مثل تسخيرهم للتجديف في سفن البابوية [2].

[1]– هلايلي، أوراق في تاريخ الجزائر...، مرجع سابق، ص 75.

[2]– سعيود، وثيقة بابوية...، مرجع سابق، ص 241.

الفصل الثالث

معركة ليبانت، أحداثها وآثارها

- خلفيات معركة ليبانت وتشكيل التحالف الصليبي.
- خليج ليبانت ميدان لمواجهة عنيفة.
- نتائج المعركة.

المبحث الأول: خلفيات معركة ليبانت وتشكيل التحالف الصليبي

لطال ما عانى العثمانيون من قراصنة جزيرة رودس التي كانت في أيديهم لأكثر من مائتي سنة عندما تولى السلطان العثماني سليمان القانوني حكم الدولة العثمانية، إضافة إلى الجزر الصغيرة المجاورة لها، وكان هؤلاء القراصنة ينتمون إلى تنظيم ديني ترجع جذوره إلى عهد الحروب الصليبية الأولى على بيت المقدس[1].

مثلت جزيرة رودس نقطة تهديد جدي لجميع السفن العثمانية التي أصبحت معرضة لنهب تجارتها وأسر ملاحيها، ولم تسلم سفن الحجاج من هذا التهديد، في المقابل كان البحارة والتجار والمسافرين المسيحيين يجدون الحماية والعون من طرف قراصنة جزيرة رودس، وقد زاد عدائهم للعثمانيين إلى درجة مساعدة والي الشام عندما ثار ضد السلطان سليم الأول، كما أضمروا العداء الشديد لخليفته السلطان سليمان الأول[2].

خلق فتح مصر ضرورة ملحة في تأمين المواصلات البحرية بين موانئ المشرق وميناء الإسكندرية، حيث يتركز الخطر خاصة في جزيرة رودس، إذ يضاف على هذا الخيار الاستراتيجي سبب آخر يدعوا السلطان العثماني للتحرك اتجاهها وتمثل ذلك في الشكاوى التي يتلقاها ضد فرسان القديس يوحنا الأورشليمي الذي كان يتآمر مع أعداء الإمبراطورية العثمانية [3]،

بعد تمكن جيوش السلطان العثماني سليمان القانوني من فتح جزيرة رودس سنة 1522م، وقد أصدر قرارا يسمح لسكان هذه الجزيرة بالمغادرة، فرحل فرسان القديس يوحنا إلى مالطا وجعلوا منها قاعدة حصينة لهم [4]، هؤلاء اللذين كانوا من ألد الأعداء للمسلمين، إذ قضوا حياتهم في محاربة المسلمين وتعطيل مصالحهم السياسية والتجارية،

---

[1]– خلف بن دبلان بن خضر الوذيناني، الفتح الإسلامي لجزيرة رودس 929هـ / 1523 م، سلسلة بحوث الدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، 1997 م، ص 43.

[2]– الوذيناني، المرجع نفسه، ص 44.

[3]– مانتران وآخرون، مرجع سابق، ص 218، **ينظر أيضا:** جون جوليوس نورويش، مرجع ستبق، ص ص 349 – 350.

[4]– أحمد عبد الرحيم مصطفى، أصول التاريخ العثماني، ط2، دار الشروق، بيروت، 1993م، ص 89.

ولم يدخروا مجهودا في التضييق عليهم بشتى الوسائل، ومن قاعدتهم الجديدة – مالطا– أصبح فرسان يوحنا يغيرون على السفن العثمانية وقد أصبحوا أكثر تحصينا من ذي قبل، وأقوى عدة وعتادا خاصة بعدما أصبحوا من حلفاء الملك الإسباني شارل الخامس الذي منحهم جزيرة مالطا بشروط معينة أهمها أن تقوم هذه المنظمة بالدفاع عن قلعة طرابلس الغرب وكامل المدينة [1]، وبالتعاون مع القبطان الجنوي الشهير أندريه دوريا، هذا الأخير الذي اتخذهم أداة لضرب الملاحة الإسلامية في الحوض المتوسط مستغلا بذلك موقعهم الإستراتيجي وقربها من الساحل المغاربي، وهذا ما اعتبره الإسبان دعما لمواقع نفوذهم في حلق الوادي بتونس والمرسى الكبير ووهران بالجزائر [2].

أما بالنسبة لخير الدين فبعد استقرار الحكم له في مدينة الجزائر واسترجاعها بمساعدة سلطان قلعة بني عباس من يد حاكم قبائل كوكو ابن القاضي الذي استسلم له عام 1526 م، وجه خير الدين اهتمامه بقلعة البنيون التي يسميها الجزائريون برج الفنار للتخلص من المدافع الإسبانية التي كانت تهدد المدينة، وبعد حصار طويل وتدهور حالة جنود الحامية الإسبانية ووصول أخبارهم إلى خير الدين راسل القائد مارتين فارغاس من أجل الاستسلام ولكنه رفض وأرسل إلى الملك الإسباني يصف له الحال ويطلب المدد [3]، وبعد شن هجوم عنيف عليها بعد تثبيت مدفعين موجهين مباشرة نحو الجزيرة والقيام بقنبلتها لأكثر من 15 يوما، وقد قام بايفاد مبعوث إلى قائد الحامية الإسبانية المتواجدة في الحصن من أجل الاستسلام دون جدوى[4]، وبعد معركة شرسة مع الحامية الإسبانية الموجودة في هذا الحصن بقيادة مارتان فيرغاس استسلم له يوم 21 ماي 1529 م،

---

[1]– عبد الجليل التميمي، الخلفية الدينية...، المرجع السابق، ص 73.

[2]– أحمد سالم، المرجع السابق، ص 140.

[3]– مارمول كربخال، المصدر السابق، ص 365.

[4] – H.D de Grammont, Histoire d'Alger sous la domination turque (1515 – 1830), édition Ernest Leroux, Paris, 1887, P 35.

وبذلك حقق خير الدين نصرا استراتيجيا على الإسبان إذ قام ببناء رصيف يربط ميناء مدينة الجزائر بصخرة البنيون[1].

فتح هذا الانتصار الذي حققه خير الدين باسترداده لحصن صخرة البنيون، لسلسلة من الحروب السجال التي دارت بين الاسبان والجزائريين، وقد كانت إسبانيا هي أكثر الدول الأوروبية تضررا من الانتصارات التي حققها خير الدين، وقد دخلت في تلك الفترة بما يصطلح عليه بتسمية الإمبراطورية المقدسة، والتي شملت العديد من الأقاليم الأوروبية المهمة[2]، وكان أول رد فعل للإسبان بقيادة البحار الجنوي أدريه دوريا حين هجم سنة 1531م على ميناء شرشال وقد وضع تحت تصرفيه 40 سفينة على متنها 1500 مقاتل، كان هدفها احتلال مدينة شرشال التي كانت ملجأ يستقبل المهاجرين الأندلسيين، ثم التوجه إلى مدينة الجزائر للقضاء نهائيا على الإيالة، ألا أنه فشل فشلا ذريعا إذ استطاع خير الدين من تطويق جيش الأميرال دوريا بعد اقتحام هذا الأخير المدينة، وأسر خير الدين 600 جندي منهم، ودحرا دوريا مهزوما[3].

بنجاح خير الدين بربروس في الاستيلاء على تونس عام 1534م وافتكاكها من يد الإسبان، استولى الأتراك على ميناء آخر قوي على سواحل شمال إفريقيا، وبذلك شعر الإمبراطور شارل الخامس[4]، بالتهديد العثماني المباشر، فكان له رد فعل على ذلك مما فتح الباب لسلسلة من الحروب بين الطرفين استمرت طوال القرنين 15 و16م، بين

---

[1]– عمار عمورة، موجز في تاريخ الجزائر، ط 4، دار ريحانة، الجزائر، 2001 م، ص 90 ؛ ينظر أيضا: العسلي، خير الدين بربروس، المرجع السابق، ص

[2]– الحضيري، الهجمات الصليبية على المغرب...، مرجع سابق، ص 9.

[3]– أسماء أبلالي، التحرشات الإسبانية على سواحل الجزائر...، مرجع سابق، ص ص 55 – 56، **ينظر** أيضا، بسام العسلي، مرجع سابق، ص 123.

[4]– شارل الخامس أو شارلكان: ملك النمسا وملك إسبانيا والبلاد المنخفضة، وحاكما لجزء كبير من إيطاليا الجنوبية واطلق عليه امبراطور الامبراطورية المقدسة، ولد سنة 1500 م، أبوه فيليب le bonالجميل ووالدته جان المجنونة ابنة فرديناند وإيزابيلا التي ورث ملك إسبانيا عنها، انتخب أميرا بعد موت جده لأبيه الإمبراطور مكسيميليان، كان ألد أعداء فرنسوا الأول وخير الدين بربروس، اضطهد البروتستانت لكنه منحهم الحرية الدينية سنة 1547 م، تنازل سنة 1556 م عن حكم إسبانيا لإبنه فيليب الثاني وعن ألمانيا لأخيه فرديناند واعتزل في أحد الأديرة حتى توفي سنة 1558 م، الوذيناني، مرجع سابق، ص 47.

جبهات عديدة من الدول الأوروبية بقيادة إسبانيا والدول الإسلامية بقيادة الدولة العثمانية[1].

في المقابل استطاع القبطان الجنوي أندريه دوريا أن يكون أسطولا صليبيا قويا مكنه من استرجاع تونس سنة 1535م[2]، بعد لجوء الأمير الحفصي إلى الإسبان فساعدوه على استعادة عرشه وبذلك عاد النفوذ الإسباني في الساحل الشرقي للمغرب [3]، وبعدها بوقت ليس بطويل طلب الملك الفرنسي فرنسوا الأول المدد والعون من السلطان العثماني ضد الملك شارل الخامس، فأرسل السلطان قوة بحرية على رأسها خير الدين بربروسا من أجل مساعدة الفرنسيين في استرجاع قلعة نيس التي سيطر عليها الإسبان وكان ذلك بمثابة رد للعثمانيين على جهود أندريه دوريا[4]، وبعد إنهاء مهمته وفي طريق عودته أغار على الجزر الواقعة في البحر المتوسط مثل: إليا، إيسيكيا... وعاد محملا بالغنائم والأسرى كما حرر عددا معتبرا من الأسرى المسلمين في فرنسا دون تقديم فدية[5].

كان من نتائج هذا التحالف الفرنسي العثماني أن سيطر خير الدين بربروسا على بنزرت في تونس، وبذلك أصبح الأتراك يشكلون تهديدا كبيرا على نابولي وتدمير بعض الجزر التي كانت خاضعة لنفوذ جمهورية البندقية المتحالفة آنذاك مع الإمبراطور الإسباني[6].

كما شهدت سنة 1537م مواجهة جديدة بين الخصمين خير الدين وأندريه دوريا بالقرب من السواحل الإيطالية، فبعد تحرك الأسطول العثماني المكون من 153 سفينة

---

(1)– باتسيك ماخوفسكي، تاريخ القرصنة في العالم، ترجمة أنور محمد ابراهيم، ط1، مكتبة المشارق للنشر والتوزيع، القاهرة، 2016م، ص ص 87 – 88.

(2)– صالح كليل، مرجع سابق، ص 53، **ينظر أيضا:** أحمد ياغي، الدولة الاسلامية في التاريخ الاسلامي، مرجع سابق، ص 67.

(3)– حاطوم، مرجع سابق، ص 465.

(4)– عبد الرحيم مصطفى، مرجع سابق، ص 94.

(5)– باتسيك ماخوفسكي، المرجع السابق، ص 103.

(6)–المرجع نفسه، ص103.

مضافا إليه 280 سفينة، صدرت الأوامر السلطانية بقصف الشواطئ الشرقية لإيطاليا، وبينما الأسطول في طريقه إلى هناك باغته دوريا واستطاع أن يستولي على حوالي 12 سفينة من أسطول الأتراك[1]، لكن خير الدين بربروس تمكن في عام 1538م من هزيمة اندريه دوريا الذي كان على رأس قوة بحرية صليبية تتكون من سفن البندقية وجنوة والبابوية وفلورنسا ومالطا في موقعة بريفيزا prevesa[2] ويذكر خير الدين في مذكراته أن الأسطول الصليبي كان يتكون من أكثر 600 سفينة بينما كان هو كان على رأس قوة تتكون من 122 سفينة [3].

ثم يعود أندري دوريا مرة أخرى ليظهر على واجهة الأحداث بعد أن أوكل له الامبراطور شارلكان بجمع أسطول كبير في خليج ليون جنوب فرنسا، من أجل توجيه الضربة القاضية لإيالة الجزائر، وهذه المرة كان على خير الدين أن يواجه القوى المسيحية المتحالفة ضده، حيث بلغ عدد السفن المشاركة حوالي 200 سفينة من بينها 8 سفن تابعة للبابا، و30 سفينة إسبانية[4].

- **حملة شارل الخامس على مدينة الجزائر سنة 1541م:**

منذ أن آل حكم مملكة إسبانيا للملك شارل الخامس –شارلكان– سنة 1516 م وضع هذا الأخير نصب عينيه هدفا واضحا وهو القضاء على إيالة الجزائر الفتية، ذلك كانت

---

[1]– أحمد فؤاد متولي، تاريخ الدولة العثمانية منذ نشأتها إلى نهاية العصر الذهبي، مرجع سابق، ص260

[2]– معركة "بريفيزا" أو " بروزة " وقعت يوم 28 سبتمبر 1538م بالقرب من ميناء بريفيزا غربي اليونان، انتصر فيها العثمانيون ضد أسطول الرابطة الصليبية المقدسة التي دعا إلى تشكيلها البابا بولس الثالث، وصفت بأنها معركة هائلة حيث تكون التحالف الصليبي من 600 قطعة حربية منها 302 سفينة كبيرة تحمل 60.000 مقاتل من إسبانيا، النمسا، والبندقية، تحت قيادة الأميرال الجنوي أندريه دوريا، بينما الأسطول العثماني كان يظم 122 سفينة تحمل 20.000 مقاتل تحت قيادة خير الدين بربروس، فاجأ خير الدين خصمه قبل استعداده للقتال وقام بتشتيت سفن الأسطول الصليبي، مما اضطر دوريا للهرب من ساحة المعركة، وأثار هذا الانتصار هلع أوروبا، **ينظر:** نجاة سليم محاسيس، معجم المعارك التاريخية، ط1، دار زهران، عمّان، 2011م، ص 96.

[3]– مجهول، مذكرات خير الدين، المصدر السابق، ص 184.

[4]– ماخوفسكي، نفس المرجع، ص 103.

هذه الحملة من أشد الحملات الأوروبية في القرن 16 م، وقد سخر لها الملك الإسباني كل أسباب النصر التي يصعب على الجزائر ردها[1]، وكل ذلك سببه التخوف الإسباني من هذه القوة الفتية والعمل على إنهاء ما تمثله من تهديد، وتوطيد الحكم الإسباني في المغرب العربي، وكانت أخبار هذه الطموحات الإسبانية تتبادر إلى مسامع الجزائريين مما يزيد من حماستهم للقتال والاستعداد للحرب[2].

بعد اختيار السلطان العثماني لخير الدين بربروس قائدا عاما للأسطول العثماني برتبة قبودان باشا، خلفه حسن آغا وهو ثالث البيلربايات في الجزائر، أصله من جزيرة سردينيا، تم أسره وهو في سن الطفولة، تميز بحسن الخلق وكان وسيما، أظهر خير الدين باشا اهتماما كبيرا بحسن ورباه في منزله كابن له، رقي حسن آغا إلى رتبة كاهيا، وأظهر شجاعة في أداء مهامه، اتسم بصفات القيادة مما جعل خير الدين يختاره ليخلفه في حكم الجزائر عند خروجه منها إلى تونس سنة 1533م، وإلى تركيا سنة 1535م [3]، ومع بداية ولاية هذا الأخير حشد الملك الإسباني قواته وحلفائه وهجم على مدينة الجزائر سنة 1541م، فوجد حسن آغا نفسه أمام امتحان صعب فهذه الحملة التي وصلت أنبائها إليه سبقتها أنباء عن انتصارات حققتها قوات شارلكان في كل من تونس وعنابة بقيادة أندريا دوريا مستغلا بذلك خروج خير الدين منها، وبذلك تم تعزيز الحملة الإسبانية القادمة عن طريق القوات المتواجدة في عنابة مما يصعب مهمة المواجهة على حسن آغا [4]

كانت هذه الحملة بمثابة انتقام إسبانيا من غارات خير الدين على السواحل الإيطالية والإسبانية وكذلك ردا على سقوط قلعة البنيون، وقد كان الهدف الأول لهذه الحملة هو اسقاط حكم الأتراك في مدينة الجزائر واحتلالها لأنه يرى أن وجود العثماني في الجزائر

---

[1]– خير الدين سعيدي، الحملات الإسبانية على مدينة الجزائر خلال العهد العثماني 1518 – 1775م من خلال مخطوط الزهرة النائرة لابن رقية التلمساني، مجلة دراسات وأبحاث، العدد 29، ديسمبر 2017 م، ص 97.

[2]– العسلي، خير الدين بربروس، مرجع سابق، ص 109.

[3]– Fry Diego de Haedo, Histoire des rois d'Alger (Epitome de los reyes de argel – valladolid 1612), traduite et annotée par H.D de Grammont, Edition Adolphe Jourdan, Alger, 1881, p 62.

[4]– مبارك الميلي، مرجع سابق، ص 63.

يعرقل المشاريع التوسعية لإمبراطوريته بل ويهدد مستقبلها [1]، رغم أن شارلكان قبل ذلك حاول استدراج خير الدين للوصول إلى اتفاق معه حيث عرض عليه حكم كامل شمال إفريقيا وأن يوليه منصب الحاكم العام لشمال إفريقيا إذا أعلن تبعيته للإسبان، ولن يكون ملزما إلا بدفع ضريبة جزئية فأبدى خير الدين مراوغة اعتقد من خلالها الإسبان أنهم استطاعوا استمالته إليهم[2]، ولكنه تمكن من خداع أندريا دوريا الذي أشرف على الوفد المفاوض، كما حاول الاتصال بخليفته حسن آغا للتفاوض معه عن طريق الوالي الإسباني في وهران ويذكر ذلك مارمول كربخال في كتابه إفريقيا فقال [... وذكر الرسول لحاكم الجزائر بأنه ولد وفي رقبته تبعية للإمبراطور وسيكون ممنونا إذا استجاب لما عرضه عليه...] [3] وهو بذلك يذكره بأصوله الأوروبية والمسيحية وأن هذه أثمن فرصة له للانتقام ممن أسروه وأعطاه ضمانات لسلامته والسماح له وللحامية التركية في المدينة بالمغادرة دون التعرض لها في حالة استسلامه، ولكن بعد فشل مساعيه قرر أن يقود حملته ضد مدينة الجزائر[4].

بعد خمس سنوات من الاستعداد قرر الامبراطور الإسباني الهجوم على المدينة ومعه قادة وبحارة مشهورون أمثال أندريا دوريا والدوق ألبا والكورتيز فاتح المكسيك، كان تحت إمرتهم أسطول كبير بلغ تعداد سفنه حوالي 516 سفينة[5]، على متنها 24.000 جنديا من جنسيات أوروبية مختلفة وحوالي 12.000 بحارا، حيث جمعت هذه الحملة عددا من نبلاء إسبانيا وإيطاليا وألمانيا من الذين أرادوا أن يتطوعوا في هذه الحملة[6]، ويوم الأبعاء الأبعاء 19 أكتوبر بدأت الأرمادا تظهر للجند الجزائريين في أعالي البحر المتوسط، فقاموا بإخبار حسن آغا أن السفن الحربية تتجمع في البحر بأعداد كبيرة بحيث يصعب

---

[1]– أبلالي، مرجع سابق، ص 57، إدريس الناصر رائسي، مرجع سابق، ص 76.

[2]– مجهول، مذكرات خير الدين، المصدر السابق، ص 195.

[3]– مارمول كربخال، مصدر سابق، ص 366.

[4]– سعيدوني، تاريخ الجزائر في العهد العثماني، مرجع سابق، ص 31، ينظر أيضا: ألتر، مرجع سابق، ص ص 155 – 156.

[5]– محمد العروسي المطوي، مرجع سابق، ص 271.

[6]– De Grammont, OP.CIT, p 58.

عدها، وأن بعضا من هذه السفن بعلو الجبال، إذ يذكر ابن رقية التلمساني في مخطوط الزهرة النائرة في وصف الأسطول الصليبي [... وكان إرساؤه وقت العصر، وخيل لأهل الجزائر حين طلعت هذه العمارة أنها جبل سير في البحر...][1]، فباشر حسن آغا وقادته من كبار الضباط مع المقاتلين[2]، في التمركز في مواقعهم الدفاعيه، حيث تولى الحاج مامي الدفاع عن باب عزون، والقايد يوسف ومعه ثلاث من الضباط هم سافي وأرسلان ورمضان مكلفون بباب الواد، وعلي هوتسوك مع القائد العام للبحرية يحرسون باب البحرية [3]

بسبب رداءة الطقس بقي الأسطول الإسباني لمدة يومين في البحر قبالة مدينة الجزائر، ثم استطاع شارلكان بمعية جنوده أن ينزلوا إلى البر بالقرب من وادي الحراش واضطر حينها الجند الجزائريون إلى الانسحاب بسبب القصف العنيف الموجه ضدهم من المدفعية الإسبانية، لكن مع حلول الليل شن الجزائريون هجوما على مقر القيادة الإسبانية، مما أحدث فوضى داخل صفوف جيش العدو أفقدته توازنه، كما أفقدته 300 مقاتل [4].

و في اليوم الموالي عادت سفن المسيحيين للاقتراب من ميناء المدينة ونقل شارلكان مقر قيادته إلى كدية الصابون، وتوزع الأسطول الصليبي بشكل كامل على سواحل وجوانب المدينة، ثم قام شارل الخامس بمراسلة حسن آغا من أجل تسليم المدينة مما زاد من غضب حسن [5]، ولكن في هذه الظروف هبت عاصفة ممطرة على الشاطئ أصبحت تهدد الأسطول الصليبي بالغرق وكان ذلك بداية من ليلة الاثنين 24 أكتوبر،

---

[1]– خير الدين سعدي، المرجع السابق، ص 98، ينظر أيضا، كورين شوفالييه، مرجع سابق، ص 91.

[2]– عدد المقاتلين الذين تم تجنيدهم للتصدي لهذه الحملة قدر بحوالي 8000 جندي من الأتراك والمجندين من القبائل الجزائرية، إضافة إلى 5000 مقاتل من الأندلسيين، مما يدل على الأعداد المعتبرة للمجندين الموريسكيين في الجيش الجزائري، وتذكر المصادر أن الملك فيليب الثاني ذكر في رسالة بعث بها إلى القنصل الفرنسي في مدريد بتاريخ 6 جويلية 1566م، بأنه يوجد في إيالة الجزائر حوالي 15.000 جندي جيد التنظيم والتسليح، من بينهم 6000 جندي من المورسكيين، هلايلي، القضية الموريسكية في الفضاء العثماني الجزائري...، مرجع سابق، ص 341.

[3]– نفس المرجع، ص 92.

[4]– مجهول، مذكرات خير الدين، مصدر سابق، ص 203، **ينظر أيضا**، مارمول كربخال، مصدر سابق، ص 369.

[5]– سامح ألتر، المرجع السابق، ص 159.

والثلاثاء 25 أكتوبر 1541م[1]، بعد استماتة الجيش والأهالي الجزائريين في الدفاع عن مدينتهم ضد الحملة الصليبية الإسبانية تمكن أخيرا حسن آغا من أن يلحق الهزيمة بملك إسبانيا شارل الخامس خاصة بعد هبوب عاصفة قوية على ساحل مدينة الجزائر، كما أن الجند المسيحيين نال منهم التعب والجوع وخارت قواهم وتراجعت حماستهم القتالية [2]، مما جعل شارلكان يتكبد خسائر فادحة بلغت حد 200 سفينة و200 مدفع وخلف وراءه 12.000 قتيل من جنده [3].

على العموم ليس هناك تقديرات ثابتة اتفق عليها المؤرخين حول حجم الخسائر في هذه الحملة الصليبية الدولية على الجزائر، فيعتقد البعض أنها بلغت نصف الحملة، حيث ظل البحر في سواحل دلس والجزائر وشرشال يلقي جثث الجنود المسيحيين الغرقى وكذلك أحصنتهم وعتادهم [4].

لم تكن هذه الهزيمة ضربة للملك شارلكان فقط بل اعتبرت ضربة عنيفة هزت العالم المسيحي بأسره، وهزت التواجد الإسباني في في غرب المتوسط، وبدأت آمال الملك الإسباني في القضاء على دولة الجزائر الفتية تتبدد، وبذلك فتح المجال للجزائر بأن تظهر للعالم كقوة إقليمية ذات وزن في أحداث البحر الأبيض المتوسط.

- حصار مالطة :

أصدر السلطان سليمان القانوني أوامرا إلى حسن باشا[5]، ودرغوث باشا وعلج علي باشا وغيرهم من رياس البحر المسؤولين عن الإيالات العثمانية الغربية، ويوضح لهم مدى أهمية الحملة ضد مالطة بالنسبة له، والامكانيات الحربية والمادية التي بذلها من أجل

---

[4]– De Haedo, OP.CIT, p 63.

[2]– مجهول، مذكرات خير الدين، نفس المصدر، ص 204.

[3]– المدني، حرب الثلاثمئة سنة...، مرجع سابق، ص 296.

[4]– كليل، مرجع سابق، ص 70،

[5]– تولى حسن بن خير الدين باشا منصب بايلرباي الجزائر ثلاث مرات، الأولى كانت سنة 1545م ثم ترك الولاية سنة 1551م، والثانية كانت سنة 1556م إلى غاية 1559م، والثالثة كانت سنة 1561م إلى غاية 1562م ينظر: ابن المفتي حسين بن رجب الشاوش، تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها(تقييدات ابن المفتي)، تقديم فارس كعوان، ط1، بيت الحكمة، الجزائر، 2009م، ص ص 40 – 41.

الاستعداد لهذه الحملة، حيث جهز الأسطول العثماني بحوالي 170 سفينة، وجيش يتألف من 30 إلى 36 ألف جندي بقيادة الصدر الأعظم مصطفى باشا، اضافة إلى حوالي 40 سفينة من الجزائر بقيادة حسن باشا، كما التحق درغوث باشا بأسطوله من طرابلس الغرب[1].

قام درغوث باشا بقيادة الهجوم على قلعة سانت إيلم، ولكنه توفي بعد اصابته بقنبلة، واستمر الحصار من 15 ماي إلى 20 سبتمبر 1565م، بسبب المقاومة التي أبداها الأعداء وكذا تأثر المقاتلين بوفاة درغوث باشا، لكن بعد وصول الدعم من القوات الإسبانية أمر الصدر الأعظم برفع الحصار والانسحاب، وتم مباشرة تعيين علج علي باشا بيلرباي على طرابلس الغرب[2].

كما نسجل احتكاك القوتين المتنافستين مرة أخرى في تونس سنة 1569م، حيث حاول علج علي باشا فتح تونس، ولكن أميرها أبو العباس أحمد الحفصي استنجد بالإسبان، فاستجاب الاسبان بارسال قوة بقيادة الدون خوان النمساوي الابن غير الشرعي لشارل الخامس، وقام باعادته إلى منصبه، وتولى مرة أخرى السلطنة الحفصية تحت السيادة الإسبانية[3].

- **فتح جزيرة قبرص 1571 م:**

كان للأعمال العدوانية ضد العثمانيين دورا في إبقاء الصراع الإسلامي المسيحي متوقدا، حيث جعل القراصنة المسيحيين من جزيرة قبرص قاعدة لهم، وهذا بمثابة خرق للمعاهدة التي سبق عقدها في النمسا سنة 1568م فأعمال القرصنة المتزايدة أزعجت العثمانيين خاصة الحادثة التي ذكرها كاتب جلبي حيث هجموا على سفينة تقل المسؤول عن الأمور المالية في مصر، واستولوا عليها ونهبوها توجب الخروج إليهم في حملة عسكرية لتأديبهم [4]، إلى درجة أن استعداد العثمانيين لمواجهة البندقية وفتح قبرص أدي

---

[1]– منور مروش، مرجع سابق، ص 137، **ينظر أيضا:** عباد، مرجع سابق، ص 89.

[2]– مروش، المرجع السابق، ص 137.

[3]– العروسي، مرجع سابق، ص 273.

[4]– حاجي خليفة، مصدر سابق، ص153.

إلى عجز السلطان العثماني عن مساعدة الموريسكيين الذين كانوا ينتظرون المساعد منه المتمثلة في الأسلحة والذخيرة وقد أورد السلطان سليم الثاني ذلك في رسالته إليهم [1].

ويبدوا أن السلطان سليم الثاني[2] قد جعل من فتح جزيرة قبرص مسألة شخصية، على الرغم من تحفظ الصدر الأعظم، وهو ما دفعه إلى إرسال أسطول بحري مكون من 360 سفينة [3]، كان لهذه الجزيرة أهمية إستراتيجية بالغة في أمن الدولة العثمانية في شرق المتوسط، جعلت منهم يصبرون مدة سنة قبل أن يتمكن العثمانيون اكتساح هذه الجزيرة بقوة ضاربة وصلت إلى 100.000 مقاتل، بقيادة بيالي باشا، وضربوا حصارا عليها وحفروا الخنادق، وساعدهم في مهمتهم حدوث المجاعة التي دفعت بالمدينة إلى الاستسلام في أوت 1571م[4].

أثار هذا الفتح العثماني سخط الإيطاليين والإسبان، وهو ماجعل البنادقة يطلبون العون من الإسبان والكنيسة البابوية وتم بينهم اتفاق على التصدي لهذا الزحف العثماني، وانتشار الشائعات آنذاك في أوروبا بتشكيل تحالف صليبي من أجل استرجاعها، إلا أن ذلك لم يحدث[5].

---

[1]– يقول السلطان سليم الثاني في رسالته للموريسكيين [...ارسلتم إلى سدة سعادتنا خطابا تعربون فيه عن عدم وصول الأسلحة المرسلة وانكم أصبحتم تواجهون ضائقة في الذخيرة وان الكفار تمكنوا من السيطرة على تلك الجوانب لذا تعلمون عن حاجتهم عن ارسال معونتهم، اننا نلاحظ أهمية ارسال الأسطول الهمايوني لنجدتكم غير أن ذلك لم يتيسر نظرا لتوقع غزو البندقية لممالكنا في هذه السنة، هذا إلى جانب مهمة فتح قبرص...]، ينظر أكثر، عبد الحي رضوان، جهود العثمانيين في...، مرجع سابق، ص278.

[2]– سليم الثاني: ولد سنة 1525م أصبح سلطان الدولة العثمانية ما بين 1566 – 1574 م ابن السلطان سليمان القانوني والجارية الروسية روكسلان، آل إليه الحكم بعد أن قام أبوه بقتل إبنيها الآخران بسبب تحريض أمه، أهم الأحداث في عهده حملته ضد اليمن وفتح قبرص 1571 م، معركة ليبانت 1571م، أظهر الجند الانكشاري العصيان ضده فقام بتقديم العطايا لهم، تميز هذا السلطان بالضعف وتذكر الكثير من المصادر أنه كان مدمن خمر ولولا الهيبة التي اكتسبتها الدولة من السلاطين السابقين لانهارت الدولة بمجرد توليته، محمود شاكر، مرجع سابق، ص 123.

[3]– مانتران وآخرون، مرجع سابق، ص 232.

[4]– فريد بك المحامي، مرجع سابق، ص 255، ينظر أيضا: عبد الحي رضوان، جهود العثمانيين في...، ص ص 279 – 280.

[5]– رائسي، المرجع السابق، ص 83.

- **المبحث الثاني: خليج ليبانت ميدان لمعركة بحرية عظيمة:**

ليبانت هي مدينة واقعة بالقرب من المدخل الشمالي لخليج كورنت باليونان ذكرت بعدة تسميات مثل ليبانتو، ليبانتي، وفي المصادر الأجنبية Lépanto، Lépante، أما الأتراك فيطلقون عليها تسمية إينه بختي Inebakhti[1] أو Inebahti، ضمها السلطان محمد الفاتح سنة 1470م ن وبقيت تحت حكم العثمانيين إلى غاية سنة 1687 م [2].

- **أسباب المعركة والتجهيز لها:**

اعتبر الكثير من المؤرخين أن فتح جزيرة قبرص سببا مباشرا لهذه المواجهة التاريخية والتي مثلت مرحلة من مراحل الصراع العثماني الإسباني في البحر المتوسط، وكان هذا الانتصار العثماني في أحد المناطق الحصينة للنفوذ الصليبي بمثابة قطع للاتصال بين القوى المسيحية، فصنف هذا الحدث كأعظم إنجاز تم بفضل التعاون بين القوات العثمانية البرية والبحرية [3]، وقد قام العثمانيون بعد احتلالهم لجزيرة قبرص عددا كبيرا من سكان الأناضول، ورغم ترحيب سكانها الأورثوذوكس الذين اعتبروا العثمانيين بمثابة منقذين لهم من الاضطهاد الكاثوليكي، إلا أن ذلك أثار سخطا كبيرا بين الدول الكاثوليكية [4].

لكن بالنظر إلى ما كان يشهده البحر الأبيض المتوسط من صراع متواصل بين القوتين المتنافستين فالمواجهة الكبرى كانت حتمية، ويذكر جون وولف أن خير الدين لما حظر للبلاط العثماني بدعوة من السلطان سليمان القانوني سنة 1532 م، سأله السلطان: هل ستحدث حرب في البحر المتوسط بين الدولتين العثمانية والإسبانية ؟ وهل يمكن لهذه الحرب أن تحطم قوة حاكم الهابسبورغ في إسبانيا بحيث لا يتمكن بعدها أبدا مرة أخرى أن يساعد على إعاقة التقدم العثماني عبر نهر الدانوب ؟ [5]، هذه التساؤلات تدل على أن

---

[1]– إينيه بختي: هي كلمة تركية ومعناها بالعربية الحظ العاثر، وأطلق عليها هذا الإسم بسبب الهزيمة التي لحقت بالأسطول العثماني ضد الأسطول الصليبي سنة 1571 م، ينظر: فؤاد متولي، مرجع سابق، ص 281.

[2]– سهيل صابان، مرجع سابق، ص 47.

[3]– إينالجيك، مرجع سابق، ص68.

[4]– نبيل عبد الحي رضوان، جهود العثمانيين في انقاذ...، مرجع سابق، ص 280.

[5]– وولف، مرجع سابق، ص 45.

المستوى الذي وصل إليه الصراع العثماني الإسباني بات ينذر بحرب قريبة بين الخصمين، وأصبحت المواجهة البحرية الكبرى على وشك الحصول فقط بانتظار السبب المباشر.

و بعد تفكير البابا بيوس الخامس –pie V – 1566–1572م العميق في الخطر العثماني الذي تواجهه أوروبا، أدرك أن خسارة البندقية ممتلكاتها في الشرق اللاتيني أما إسبانيا فقد كانت تستشعر الخطر من الإيالات الغربية الموالية للسلطان العثماني، وبذلك فكر في أن السيطرة المسيحية على البحر المتوسط ستعزل ممتلكات الأتراك في شرق أوروبا والإيالات العثمانية في غربها، أي يتم شق الامبراطورية إلى شقين، وهو ماجعله يدعوا إلى مؤتمر لوضع ميثاق لعصبة مسيحية جديدة، عمل على تجسيد فكرته لعدة أشهر بعد تقارب بابوي مع البنادقة سعيا وراء استمالة الملك الإسباني الجديد فيليب الثاني[1]، وبذلك تحرك البابا بيوس الخامس ودعى كل ملوك أوروبا لتشكيل حلف مقدس ضد الدولة العثمانية، فلبت القوى الأوروبية هذا النداء وتلبية لنداء البندقية الذي جاء خوفا من الزحف العثماني على إيطاليا [2].

اجتمع أسطول الصليبي المسمى الأرمادا بمباركة بابا الكنيسة الكاثوليكية حيث استمر البابا في التحريض على الحرب فأمر بقرع الأجراس والتضرع لله لكي ينقذ أوروبا من خطر المسلمين بعدما لبت أغلب القوى الأوروبية النداء حتى بريطانيا التي طردت ملكتها قبل سنة من الكنيسة الكاثوليكية من طرف البابا [3]، يقوده قلب هذا الأسطول الدون خوان النمساوي وهو الابن غير الشرعي للملك شارلكان[4]، وقد بلغ تعداد الأرمادا أكثر من 200 سفينة شراعية [5] بينما أوكت القيادة للجناح الأيمن للأرمادا الصليبية

---

[1]– نورويش، تاريخ البحر المتوسط، مرجع سابق، ص 389.

[2]– عبد القادر فكاير، دراسات في تاريخ الجزائر الحديث – العهد العثماني 1518/ 1830م–، دار هومة، الجزائر 2018م، ص 195.

[3]– سي يوسف، مرجع سابق، ص 115.

[4]– حاجي خليفة، مصدر سابق، ص 161، ينظر أيظا: رائسي، مرجع سابق، ص 83.

[5]– روبير مانتران وآخرون، مرجع سابق، ص 232، **ينظر أيضا:** فريد بك المحامي، مرجع سابق، ص 257.

للقبطان الجنوي أنريه دوريا وتحت تصرفه 56 سفينة، فقام الدون خوان بتعزيز قواته بالجناح الأيسر للأسطول تحت قيادة القبطان أوغوستين وبرباريغو Agostino barbarigo وهو من كبار قباطنة البندقية، كما استقدم الأميرال الإسباني سانتا كروز، وبعد اجتماع كل القوات المشاركة في العصبة المقدسة سار الأسطول إلى بحر الأدرياتيك حتى وصل إلى خليج كورنث وهي منطقة ليست ببعيدة عن ليبانتو[1].

كما قام الأسطول باحتلال جزيرتي كورفو وكتالوني ووطدت نفوذها في خليج ليبانت باليونان [2]، وبمجرد استقرار الأسطول العثماني قد استقر في خليج ليبانت في اليونان بينما سمح لعدد من السفن بالعودة إلى السواحل العثمانية من أجل القيام ببعض أشغال الصيانة والترميم لوحدات الأسطول في الترسانة، وكان الصدر الأعظم في تلك الفترة مصطفى باشا منشغلا بفتح قلعة ماغوسة، قد أمر بإخراج الأسطول الهمايوني قبله بيوم وقد حذر من مباغتة أسطول العصبة الصليبية التي تواصل التقدم اليهم، وكان يخشى أن يجهزوا على الجند العثماني الموجود على الأسطول، وبذلك صدر فرمانا تم توجيهه إلى الوزير برتو باشا الذي شغل منصب سردار، والقبودان داريا علي باشا يقضي بتكليفهما بمهمة إخراج الأسطول من الترسانة الموجودة في اسطنبول [3].

و بمجرد وصول المعلومات إلى اسطنبول بالتحضيرات المسيحية، بدأ العثمانيون بالاستعداد للمواجهة وذلك بمراسلة حكام الإيالات العثمانية تدعوهم إلى القيام بالاستعدادات اللازمة في قواتهم، وكانت الجزائر لها مكانتها الخاصة في مساندة البحرية العثمانية في مواجهة الصليبيين، فأرسل السلطان سليم الثاني فرمانا إلى بايلرباي الجزائر علج علي باشا[4] مؤرخا في 2 ذو القعدة 978 م يأمره بتجهيز أكبر عدد ممكن من

---

[1]– عبد الحي رضوان، جهود العثمانيين...، ص ص 281 – 282.

[2]– اسماعيل أحمد ياغي، مرجع سابق، ص 98.

[3]– بجوي إبراهيم أفندي، مصدر سابق، ص 534.

[4]– ولد علج علي في منطقة كابولوني capolonne وبالتحديد في قرية صغيرة تسمى كاستيلي licastelli تقع في كلابر calabre بجنوب ايطاليا عام 1508م، أسر من طرف البحارة الجزائريين بقيادة خيرالدين باشا، وقد عاش حياة العبودية لمدة 14 سنة، اسمه الحقيقي لوكاقليني lucageleini، أو جيوفاني دي ونيدجي غاليني، وقد عرف علج علي باشا باسم علي الفرطاس، لأنه كان يعاني من مرض جلدي في رأسه مما سبب له الصلع، وقد جعله ذلك مذموما من

السفن والتوجه بها إلى قبرص للانضمام إلى الأسطول العثماني [1]. ومما جاء في نص الفرمان السلطاني [... بعد التوكل والاعتماد على علو عناية الحق جل وعلا، والتوسل والاستناد إلى آيات معجزات سرور الكائنات عليه وعلى آله أفضل الصلوات، فقد تقرر في هذه السنة الخيرة غزو الكفار من البر والبحر والاغارة وإلحاق الخسائر بجزره المعادية وأسطوله – هزمه الله – وكذلك بقصد دفع ورفع مضرته وفساده وتلقينهم درسا لن ينسوه... ونظرا لاعتمادي الهمايوني على حسن فراستك وكياستك ووفور شجاعتك وشهامتك، فإنني آمرك ومن معك من السفن والقاليتات بكامل أسلحتها بالتوجه عاجلا لملاقاة المشار إليه الوزير بورتو باشا...][2].

بعد وصول الأمر الأول بحوالي أربعين يوما تلقى بايلرباي الجزائر علج علي باشا أمرا آخر من السلطان سليم الثاني جاء فيه [... حال وصول هذا الأمر فلا تتأخر وتعين من رجالك الأكفاء على الجزر والبقاع الواجب حفظها وحراستها من هذا الجانب من ولايتك، وعليك تجهيز القاليتات وبقية السفن التي بحوزتك واعداد العدة والعتاد والحبال والحبالين والمحاربين بكامل زادهم، ولتسرع بالإبحار... ثم باشر بقلع وقمع قلاع وبقاع الكفار...] [3].

وعلى إثر نداءات الدولة العثمانية خرج علج علي باشا من الجزائر على رأس قوة بحرية متكونة من 50 سفينة، وانطلق للانضمام إلى الأسطول العثماني وفي طريقه هاجم عدة جزر ومواقع مسيحية، مثل جزيرة كريت، والجزر الأيونية، ومواقع على الساحل

طرف اقرانه في صغره، بعد إسلامه أصبح من مالكي السفن ودخل في خدمة البحرية الجزائرية وتدرج في الرتب والمناصب حتى أصبح بيلربايا للجزائر 1569 – 1587م، رقي إلى منصب قبودان الأسطول العثماني سنة1571م، أعاد للأسطول قوته بعد تدميره في موقعة ليبانت، فتح تونس سنة 1574م توفي سنة 1589 م وانتهى بوفاته عهد البيلربايات، وبدأ عهد البشوات، **ينظر**: ابن المفتي حسين بن رجب الشاوش، مصدر سابق، ص ص 41 – 42.

[1]– عبد القادر فكاير، دور الأسطول الجزائري في معركة ليبانتو 1571 م، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، العدد 9، ديسمبر 2014 م، ص 417.

[2]– سي يوسف، المرجع السابق، ص ص 115 – 116.

[3]– نفسه، ص 117.

الأدرياتيكي[1]، كما أنه قام بتحركات استطلاعية في البحر قصد رصد تحركات الأسطول المسيحي ونقل أخباره إلى قيادة الأسطول العثماني [2].

و تجدر الاشارة هنا أن هذه الأنشطة والتحركات التي قام بها الأسطول العثماني قد أجهدته وأنتهى به الأمر في سبتمبر 1571م وقد نال منه التعب بسبب كثرة الغزوات التي قام بها على الشواطئ المسيحية وهذه الأعمال كانت مركزة بعد فتح قبرص مباشرة، مع علم القيادة البحرية المسيحية بذلك

اكتملت القوة اللازمة لمواجهة الأساطيل الصليبية، حيث ضمت الأسطول العثماني مضاف إليه كل من أساطيل إيالات الجزائر وتونس وطرابلس الغرب ومصر وجهات أخرى من الدولة، ويبدوا من خلال الرسائل المرسلة من السلطان العثماني لعلج علي باشا فإن القيادة العثمانية كانت على علم بتحركات الأساطيل الأوروبية وترصد من بعيد سير التجهيز للمعركة ولكن الأعداء كانوا يرصدون تحركاته أيضا ويعلمون نقطة ضعفه المتمثلة في استخدام الجند السهام والأقواس بدل الأسلحة النارية التي استخدمها المسيحيون[3]، وقد تكون هذه النقطة هي التي رجحت الكفة لصالحهم بالرغم من التفوق العثماني في عدد وحدات الأسطول.

- **المواجهة:**

عندما شارفت المعركة على البداية حدث اختلاف بين قادة الأسطول العثماني، في الاجتماع الذي عقد من أجل التشاور، وقد جمعت هذه المشاورات كل من بورتو باشا، والقبودان داريا علي باشا، وبايلرباي الجزائر علج علي باشا، وحاكم طرابلس الغرب جعفر باشا، إضافة إلى حسن بن خير الدين، وكبار القادة في الأسطول [4].

---

(4)–De Grammont, OP.CIT, p 108.

(2)– فكاير، مرجع سابق، ص 417.

(3)– سي يوسف، المرجع السابق، ص ص 120 – 121.

(4)– حاجي خليفة، المصدر السابق، ص 161

وقد كان هناك اختلاف في الرأي بين الباشوات فيما يخص الدخول في المعركة وقد كان القادة أمام خيارين إما الهجوم أو الانتظار في خليج ليبانت، فمنهم علج علي باشا الذي اقترح تأجيل الحملة الى الربيع القادم لأن الأسطول العثماني يعاني نقصا ومن الضروري استكماله والتريث إلى ما بعد فصل الشتاء [1]، كما لم يؤخذ بنصيحته عندما اقترح عليهم الخروج إلى عرض البحر وخوض المعركة بعيد عن الساحل لكي يتجنبوا احتمال انسحاب قواتهم إلى البر تحت وطأة القصف المدفعي من السفن المسيحية وعندما رفض اقتراحه نادى بأعلى صوته قائلا [أين الذين حاربوا مع خير الدين باشا ودرغوث باشا؟ لماذا لا يتكلمون؟ هل يمكن أن تكون حرب بحرية في الساحل ؟] [2]، وكان حسن بن خير الدين من معارضيه، لكن رغبة محمد باشا الصدر الأعظم في كسر نفوذ بورتو باشا جعله يتجاهل كلام علج علي ومال لفكرة القبودان علي باشا بن المؤذن زاده الذي اقترح دخول الحرب حالا[3]، بالرغم من أن هذا الأخير قليل الخبرة في هذا المجال، فهو لم يسبق له أن قاد معارك بحرية حاسمة، ولكن بما أنه القائد الأعلى للقوة البحرية العثمانية فقد التزم باقي البشوات للقرار الذي اتخذه [4].

كما تذكر المصادر التاريخية أن الباشوات اقترحوا عدم الدخول في المعركة غير المتكافئة إلا بعد القيام بقصف المدافع العثمانية لسفن العدو واتلافها، وهو ما يعطي فرصة للعثمانيين لانهاك الأسطول الصليبي والسماح للسفن العثمانية بتتبع ومطاردة خصومهم في عرض البحر، لكن بورتو باشا ومؤذن زاده باشا أعلنا أنهما تلقيا أمرا من الباب العالي للدخول في المعركة فورا[5].

---

[1]– فكاير، مرجع سابق، ص 418.

[2]– أوزوتونا، مرجع سابق، ص 374.

[3]– إبراهيم حليم بك، تاريخ الدولة العثمانية العلية (التحفة الحليمية)، ط1، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، 1988م، ص 100.

[4]– محمود السيد الدغيم، أضواء على البحرية الإسلامية العثمانية، ندوة بعنوان الحضارة الإسلامية وعالم البحار (بحوث ودراسات)، منشورات اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة، نوفمبر، 1993 م، ص 407.

[5]– نجاة سليم محاسيس، مرجع سابق، ص 456.

لم يكن اختلاف وجهات النظر هو العامل المقلق فقط للقادة بل هناك أمر آخر يثير تخوفهم، لأن الدولة العثمانية وبالرغم من تأكدها من نية الأسطول المسيحي في دخوله لمعركة ليبانت إلا أن هناك قلق في نفوس القادة من اغتنام المسيحيين انشغال أساطيل الإيالات المغربية والهجوم على الجزائر وتونس واحتلالها على حين غفلة منهم، ولذلك حرصت كل المراسلات العثمانية على تحصين القلاع وأخذ الاحتياطات اللازمة في حالة حدوث هجوم مفاجئ [1].

يبدوا أن نفس الاختلاف قد حدث بين قادة الأسطول المسيحي في دخول المعركة أو تجنب العثمانيين حيث انقسموا إلى من يرى أنه من المخزي أن تجتمع القوى المسيحية كلها بهذا العدد وهذا العتاد ثم تتراجع خوفا، وبين من يرى أن القوات العثمانية متفوقة وهناك احتمال حدوث خسارة كبيرة تنهي جزءا كبيرا من الأسطول المسيحي[2].

بعد أن حسم الخصمان أمرهما، أعطى القبودان علي باشا أمرا بالخروج من خليج كورانت لمواجهة الأعداء، التقت العمارتان في المكان الواقع بين ليبانت وباتراس، وكان ذلك يوم7 أكتوبر 1571 م، فبدأت المعركة على الساعة الثانية زوالا من هذا اليوم، قام الدون خوان بوضع سفن البندقية الست في المقدمة حيث شكلت مع بقية سفن الأسطول المسيحي شكل نصف دائرة كبيرة، وكانت هذه السفن من أعظم وحدات المشاركة في العصبة الصليبية حيث كانت تحمل كل واحدة منها ستين مدفعا قادرة على اختراق جانب أي سفينة، لذلك جعل منها درعا بحريا[3].

و بعد اشتباك الأسطولين العثماني والمسيحي لمدة ثلاث ساعات متوالية، انهزم جيش الميمنة من الأسطول العثماني واستشهاد محمد شولوك والي مصر، ثم تلاه بعد ذلك

---

[1]– سي يوسف، نفس المرجع، ص118.

[2]– نفسه، ص 122.

[3]– وولف، مرجع سابق، ص 88.

سقوط قلب الأسطول واستشهاد القبودان علي باشا ثم تحولت المجابهة إلى سفينة ضد سفينة [1].

بمجرد سقوط الجناح الأيمن وقلب الأسطول العثماني حاول أندريه دوريا قائد ميمنة الأسطول المسيحي بالمناور وقام بالانسحاب لأن علج علي كان موقع تهديد له، مما أحدث ثغرة في الأسطول المسيحي، وقد أثار هذا التصرف بلبة بين القادة المسيحيين كونه قرارا متهورا، وغير متوقع[2]، فاستغل علج علي هذا الخطأ وانقض على الأسطول المالطي بعدما لاحظ أنه بمقربة منه فقام بالمناورة للوصول إليه رغم علمه بأن المعركة قد حسمت لصالح المسيحيين، لكنه استمر في المناورة إلى أن وصل إليه وقضى عليه، واستولى على سفينة القيادة المالطية ورايتها الحربية[3]، ثم حاول علج علي التحرك نحو قلب المعركة ولكنه اكتفى بالمناورة والانسحاب بعدما لاحظ الدمار الذي أصاب الأسطول العثماني، وكذلك من أجل الحفاظ على أسطوله المتكون من 40 سفينة إضافة إلى ما غنمه من سفن المسيحيين، وما تبقى من الأسطول العثماني [4].

أما السفن التي استطاع بحارتها انقاذها ولو نسبيا من قلب الأسطول والجناح الأيمن، رغم الأضرار التي أصابتها وتدمير البعض منها جزئيا فقد انسحبوا بها بعيدا عن ساحة المعركة نحو السواحل وهناك تم ارسائها في الرمال حتى لا يتمكن الأعداء من الاستيلاء عليها [5].

بعد مغادرة علج علي ميدان المعركة اتجه إلى ناحية قناة سان مور saint maure حاول اندري دوريا ملاحقته لكنه أخفق فعاد أدراجه منسحبا.

---

(1)– فريد بك المحامي، مرجع سابق، ص 257، **ينظر أيضا:** فكاير، دور الأسطول الجزائري في معركة ليبانتو 1571م، المرجع السابق، ص 418.

(2)– نورويش، مرجع سابق، ص 392.

(4)–De Haedo, OP.CIT, p 147.

(4)– فكاير، دراسات في تاريخ الجزائر...، مرجع سابق، ص 197.

(5)– الدغيم، مرجع سابق، ص 409.

مما سبق يمكن القول أن هناك عدة أسباب رئيسية أدت إلى انهزام العثمانيين في هذه المعركة وتحولها إلى نكبة في تاريخهم وهي:

- عدم الأخذ بنصائح علج علي باشا وهو من رجال البحر المحنكين الجزائريين وعدم الاستفادة من خبرته العالية في تسيير المواقف العسكرية والبحرية، حيث تجاهل القادة العثمانيين اقتراحه بعدم البقاء في خليج ليبانت والخروج إلى عرض البحر لمواجهة المسيحيين، وتجنب ابقاء الأسطول محصورا في ساحل ضيق،
- رغم التفوق العددي للسفن العثمانية إلا أن الأسطول الصليبي كان يضم قطع بحرية ضخمة مثل غاليات جمهورية البندقية، والتي استطاعت أن تتصدى لقصف المدفعية العثمانية.
- استخدام المسيحيين للأسلحة النارية والبنادق بينما استخدم الجند العثماني السهام والأقواس التي لم تكن مجدية خاصة أن الجند المسيحيين كانوا يرتدون الدروع.
- الانهاك الذي طال الأسطول العثماني والبحارة إثر النشاطات المكثفة التي قام بها في ربيع وصيف سنة 1571م.

- **المبحث الثالث: نتائج المعركة**

تميزت معركة ليبانت بالدموية والعنف الشديدين، وقد كانت خسائر العثمانيين في هذه المعركة وخيمة حيث قتل من الجنود العثمانيون ما يتراوح ما بين 20.000 إلى 30.000 قتيل بين جند وبحارة وقادة، كما استولى المسيحيون على حوالي 130 سفينة عثمانية واحرقت حوالي 94 أخرى وغنموا 300 مدفعا و30.000 أسير [1]، كما تم تحرير 8.000 من الأسرى المسيحيين العاملين على السفن العثمانية، أما من جانب التحالف الصليبي فقد قتل حوالي 8.000 جندي، وحوالي 10.000 جريح من بينهم الأديب الإسباني ميغال سيرفانتيس[2]، كما فقد الأسطول المسيحي حوالي 12 غاليا كلها غرقت، وسفينة واحدة تم أسرها[3].

بعد هذا الانتصار المسيحي ابتهج البابا وأعلن أن هذه الموقعة التاريخية تجسد بداية النهاية للإمبراطورية العثمانية وتمثل انتصارا إلاهيا للمسيحية ضد الإسلام، واحدث هذا النصر رنة فرح في كامل أوروبا، وقام البابا بإلقاء خطبة في كنيسة ماري بروما، وشكر الدون خوان على انتصاره على السفن الاسلامية، كما عمت الاحتفالات في أوروبا خاصة إسبانيا والبندقية، وصدر عفو عام على المساجين المدنيين، وأقيم قداس كبير في عدة كنائس، وفي هذه الأيام لجأ التجار الأتراك إلى داخل وكالة الأتراك إلى أن انتهت الاحتفالات خوفا على سلامتهم، حتى أنه في السنوات الموالية تم إحياء ذكرى هذا النصر والاحتفال به يوم 7 أكتوبر من كل سنة [4].

قابل ذلك استياء كبير في كل الأقاليم العثمانية، حيث لم يسطع سكان اسطنبول تحمل هذه الهزيمة، وهموا بالقضاء على النصارى مدينتهم لولا منع الصدر الأعظم ذلك[5]وصف الصدر الأعظم محمد صوقللي باشا النصر المسيحي في هذه الموقعة

---

[1]– المحامي، المرجع السابق، ص 257.

[2]– فكاير، دور الأسطول الجزائري في معركة ليبانتو 1571 م، مرجع سابق، ص 419.

[3]– نورويش، مرجع سابق، ص 393.

[4]– نفسه، ص 394.

[5]– محمود شاكر، مرجع سابق، ص 124، المحامي، المرجع السابق، ص 258.

بالنصر العقيم لأنه يرى بأن أساطيل الدول الأوروبية قد انفرط عقدها قبل أن تتفق على الكرة الأخرى[1].

و يذكر أحد المشاركين في هذه المعركة في الأسطول المسيحي وهو مؤرخ إسباني اسمه دون كويكزون أن كل البحارة الذين عادوا من ساحة المعركة قالوا أن العثمانيين لن تقوم لهم قائمة بعد هذه النكبة، ويذكر أيضا مؤرخ آخر أن أوروبا لم تستطع الاستفاقة من نشوة الانتصار فقضت السنوات التي تلت هذه الموقعة في بناء الكنائس شكرا على انتصارها على العثمانيين [2].

في ظل هذه الهزيمة اعتبر علج علي المنصر الوحيد في الجانب العثماني، حيث حافظ على الشرف العثماني بجلبه راية الأسطول المالطي، وكانت هذه الموقعة نقطة تحول في حياته، حيث استقبل في اسطنبول من طرف سكانها وسلطانها استقبال الأبطال، ثم قام السلطان بتعيينه رسميا في في منصب قبودان داريا للأسطول لعثماني ومنذ ذلك التاريخ استبدل اسمه من علج علي إلى قليج علي باشا، وتم خلافته في الجزائر بحسن بن خير الدين الذي كانت هذه ولايته الرابعة عليها في منصب بايلرباي[3].

بعد تسلم علج علي باشا منصبه الجديد تم تكليفه مباشرة بإعادة بناء الأسطول العثماني من جديد، وتوحيد جهوده مع القبطان الشهير بيالي باشا piyala bey، حيث تمكنا في ضرف وجيز من تجهيز 250 سفينة حربية[4]، كما قام بتوسعة ترسانة اسطنبول، وبدأ ببناء ثمانية من السفن التي تسمى الغاليسات على النموذج البندقي الذي استخدمه التحالف الصليبي، وماهي إلا بضعة أشهر أي سنة 1572 م حتى خرج من

---

[1]– محمد جميل بيهم، فلسفة التاريخ العثماني، مرجع سابق 285.

[2]– محمود السيد الدغيم، المرجع السابق، ص ص 409 – 410.

[3]– لم يستطع حسن بن خير الدين الالتحاق بمنصبه فقد اشتد عليه المرض وتوفي بحلول سنة 1572م، فصدر قرار سلطاني باحتفاظ علج علي بمنصبه القديم بيلرباي على الجزائر إلى جانب منصبه الجديد على رأس الأسطول الهمايوني، ثم قام بنفسه بتعيين خلفاء له في الجزائر هم: أحمد عرب، القايد رمضان، حسن فنزيانو، جعفر باشا، حسن فنزيانو ولاية ثانية، مامي أرناؤوط، أحمد باشا، **ينظر أكثر**: سي يوسف، المرجع السابق، ص ص 133...138.

[4]– فكاير، دور الأسطول الجزائري في...، مرجع سابق، ص 420.

القسطنطينية 250 سفينة حربية، والتي كانت تجوب البحر المتوسط، وتتحرى حركات الأساطيل المعادية، وتلقي الرعب في قلوب البحارة البنادقة [1]، خاصة بعدما وقع الخلاف بين القادة البحريين في البندقية ونظرائهم الإسبان لذلك لم يسجل هذا العام أي مواجهات حاسمة بين الأسطول العثماني والأساطيل الأوروبية والإسبانية، ولكن مع نهاية هذه السنة توجه الدون خوان على رأس السفن الإسبانية وقام باحتلال تونس بدون مقاومة تذكر، وأعاد الحاكم الحفصي مولاي حسن، الذي سبق ولجأ إلى الإسبان وطلب عونهم [2].

بناء على ما سبق فيمكننا الحكم على أن هذا الانتصار الكبير الذي حققه الاتحاد الصليبي ضد الدولة العثمانية، لم يكن نصرا ذا فوائد استراتيجية ملموسة [3]، فمن جهة نجد أن هذا النصر حطم نظرية الدولة التي لا تهزم ويبدوا ذلك واضحا من خلال خطبة ألقاها المؤرخ البندقي باولو باروتا Paolo Paruta في جنازة قتلى المعركة في كنيسة سان مارك ويقول فيها [لقد علمونا من خلال المثل الذي ضربوه لنا أن الأتراك ليسوا فوق الهزيمة كما كنا نعتقد من قبل... إن شجاعة هؤلاء الرجال تبدوا الآن مثل شمس الحقيقة، جاءت لنا بأسعد نهار وأجمل نهار عرفته المدينة في تاريخها] [4]، ولكن من جهة أخرى وصف بأنه نصر بلا غد، فالحلف الصليبي كان هدفه هو إنهاء الوجود العثماني وهذا مستحيل أن يحدث بمجرد خوض معركة بحرية واحدة، حتى أنهم لم يستطيعوا استرجاع جزيرة قبرص، وبعد زمن ليس ببعيد سوف يوجه العثمانيون ضربة موجعة للإسبان بتحرير تونس سنة 1574 م، إذ أصدر السلطان العثماني سليم الثاني فرمانا إلى حكام الأقاليم العثمانية بشمال إفريقيا بضرورة قيادة حملة على تونس لإخراج الإسبان منها وقد جعل سنان باشا (سردار) وكانت القيادة البرية لقليج علي باشا[5]، وكانت خطته تهدف الى القضاء نهائيا على قلعة حلق الوادي التي تشكل خطرا كبيرا على تونس، وبعد حرب

---

[1]– بيهم، نفسه.

[2]– المحامي، مرجع سابق، ص 258.

[3]– رائسي، مرجع سابق، ص 84.

[4]– نورويش، المرجع السابق، ص 395.

[5]–محمد بن ابي دينار القيرواني الرعيني، المؤنس في أخبار افريقية وتونس، ط1، مطبعة الدولة التونسية، تونس، د.ت، ص 176.

ضروس دامت أكثر من شهر ونصف أسقط العثمانيون القلعة عام 1574م بالتعاون مع المجاهدين من المنطقة اضافة إلى جهود سنان باشا الذي قاد الحملة القادمة من اسطنبول بأمر من السلطان لتحرير تونس، مدعوما بقادة سناجق مصر وقبرص وطرابلس الذين حاصروها بحرا[1].

وبذلك فهذا النصر لم يكن له أهمية سياسية ولا عسكرية واستراتيجية، بل كانت أهميته معنوية، كما أنها كانت مناسبة استغلها العثمانيون لإعادة حساباتهم الحربية والاستراتيجية من أجل إعادة بناء وتحديث الأسطول البحري العثماني[2].

والجدير بالذكر أيضا أن اتحاد الدول المسيحية تفكك بعد موت البابا بيوس الخامس يوم 1 ماي 1572 م، وبذلك أدركت البندقية أن آخر معاقلها في شرق المتوسط مهدد من طرف العثمانيين، وأنه لا خيار أمامها إلا العودة إلى مهادنتهم والتنازل عن المطالبة باسترجاع جزيرة قبرص، وقبولها بشروطهم بعد مماطلة الإسبان ومراوغتهم في مساعدة البنادقة للوصول إلى مساعيهم، وانشغال الملك فيليب الثاني بالقضاء على تمرد القائد وليام الصامت في الأراضي المنخفضة، هذا الأخير الذي كان مدعوما من طرف الملك الفرنسي شارل التاسع الذي كان منشغلا بالتآمر على الملك الإسباني فيليب الثاني[3].

---

[1]– المصدر نفسه، ص 187.

[2]– Souhila Markria, OP.CIT, p310.

[3]– نفس المرجع، ص ص 396 – 397.

خاتمة

من خلال دراستنا لموضوع مساهمة البحرية الجزائرية في الحروب العثمانية الأوروبية في البحر الأبيض المتوسط خلال القرن 16م – معركة ليبانت 1571م نموذجا – سجلنا بعض النتائج والاستنتاجات أهمها:

- شكل البحر الأبيض المتوسط مسرحا للعديد من المواجهات العنيفة بين العالم الإسلامي بقيادة الدولة العثمانية، والعالم المسيحي بقيادة اسبانيا، وذلك لأهميته الاستراتيجية البالغة، وظهور الأطماع الإسبانية في سواحل المغرب الإسلامي الذي كان يشهد أوضاعا مزرية خلال القرن 15م، ولولا التدخل العثماني في المنطقة لاستطاع الإسبان تنفيذ مشروعهم الذي تم تحديده بوضوح من خلال معاهدة تور دي سيلاس1495م.
- لعبت الكنيسة البابوية دورا بارزا في تأجيج الصراع بين الدولة العثمانية والدول الأوروبية، من خلال الخطاب التحريضي، والمتعصب، والدعوة إلى تشكيل التحالفات الأوروبية لمحاربة العثمانيين، بل والمشاركة في هذه الحروب بالسفن، والسلاح، والرجال.
- الأسطول البحري الجزائري كان في خدمة الدولة العثمانية، ويتم استدعائه متى دعت الحاجة إلى ذلك، فقد شارك إلى جانب الدولة العثمانية في معارك عديدة مثل: حصار مالطا 1565م، معركة ليبانت 1571م.
- رغم اعتماد الجزائر خلال العهد العثماني في دفاعاتها على المؤسسة العسكرية البرية والبحرية معا، إلا أن دور الأسطول البحري كان بارزا أكثر من خلال المواجهات العسكرية بين الجزائر والدول الأوروبية، وصد الحملات الأجنبية ضد مدنها الساحلية، ومساهمتها الفعالة زيادة مداخيل خزينة الدولة من خلال الجهاد البحري.

- الأسطول الجزائري، كان مكونا أساسا من عناصر جزائرية بالإضافة إلى عناصر أجنبية مثل الموريسكيين، والأعلاج الأوروبيين ساهمت هذه الفئات بشكل كبير في ترقية وتطوير الأسطول، وذلك بفضل الخبرة المتنوعة لهؤلاء.
- من أهم القضايا التي أججت الصراع العثماني الأوروبي خلال القرن 16م، أولا قضية الجهاد البحري للبحارة الجزائريين، والذي يمثل رد فعل معاكس للقرصنة الأوروبية، حيث كان هذا النشاط وراء تحقيق الثروة لمدينة الجزائر، وزيادة عدد الأسرى، وثانيا قضية الأسرى حيث يبدوا أن الأسرى الأوروبيين في الجزائر يعيشون في أوضاع أفضل بكثير من تلك التي يعيشها الأسرى المسلمين في البلاد الأوروبية، وقد مثلت هاتان القضيتان سببا في توتر العلاقات الجزائرية الأوروبية، ذلك أن أغلب الحملات الأوروبية ضد الجزائر كان سببها هو الجهاد البحري الجزائري، وتحرير أسراهم في الجزائر، دون أن ننسى سعي البابوات إلى زيادة حدة هذا التوتر والعمل على تأجيج الصراع المسيحي الإسلامي مستغلين بذلك مكانتهم الدينية عند الشعوب الأوروبية.
- شهدت خليج ليبانت أو ليبانتو 1571م، مواجهة عنيفة جدا، وصفت بالدموية، والملحمية، مما جعلها تحظى بمكانة كبيرة عند الأوروبيون الذين اعتبروها الانتصار للمسيحية على الإسلام.
- كانت اسباب الهزيمة العثمانيين تتعلق من جهة بالأسطول البحري العثماني الذي كان يعاني الكثير من النقائص، ويحتاج صيانة في قطعه الحربية، والتفوق الأوروبي في مجال السفن الكبيرة على شاكلة سفن الأسطول البندقي، ومن جهة أخرى الخطأ التاكتيكي الذي ارتكبه القادة عندما حصروا المعركة قرب الساحل ولم يخرجوا إلى عرض البحر لمواجهة سفن الأعداء.
- رغم الانتصار الباهر الذي حققه الأوروبيون في هذه المعركة إلا أنهم لم يستطيعوا استغلاله من الناحية الاستراتيجية، بل إنهم لم يحققوا أصلا الأهداف التي خاضوا من

أجلها هذه المعركة مثل تحرير جزيرة قبرص، وتجاوز طموحهم وقتها إلى حد اعتقادهم بأنهم سوف ينهون الوجود العثماني تماما، اعتقادا منهم أن ذلك سيتحقق لهم بمجرد الانتصار في مواجهة بحرية واحدة.

الملاحق

الملحق رقم (01): يبين خريطة خليج ليبانتو مع توزيع الأجنحة العسكرية[1]

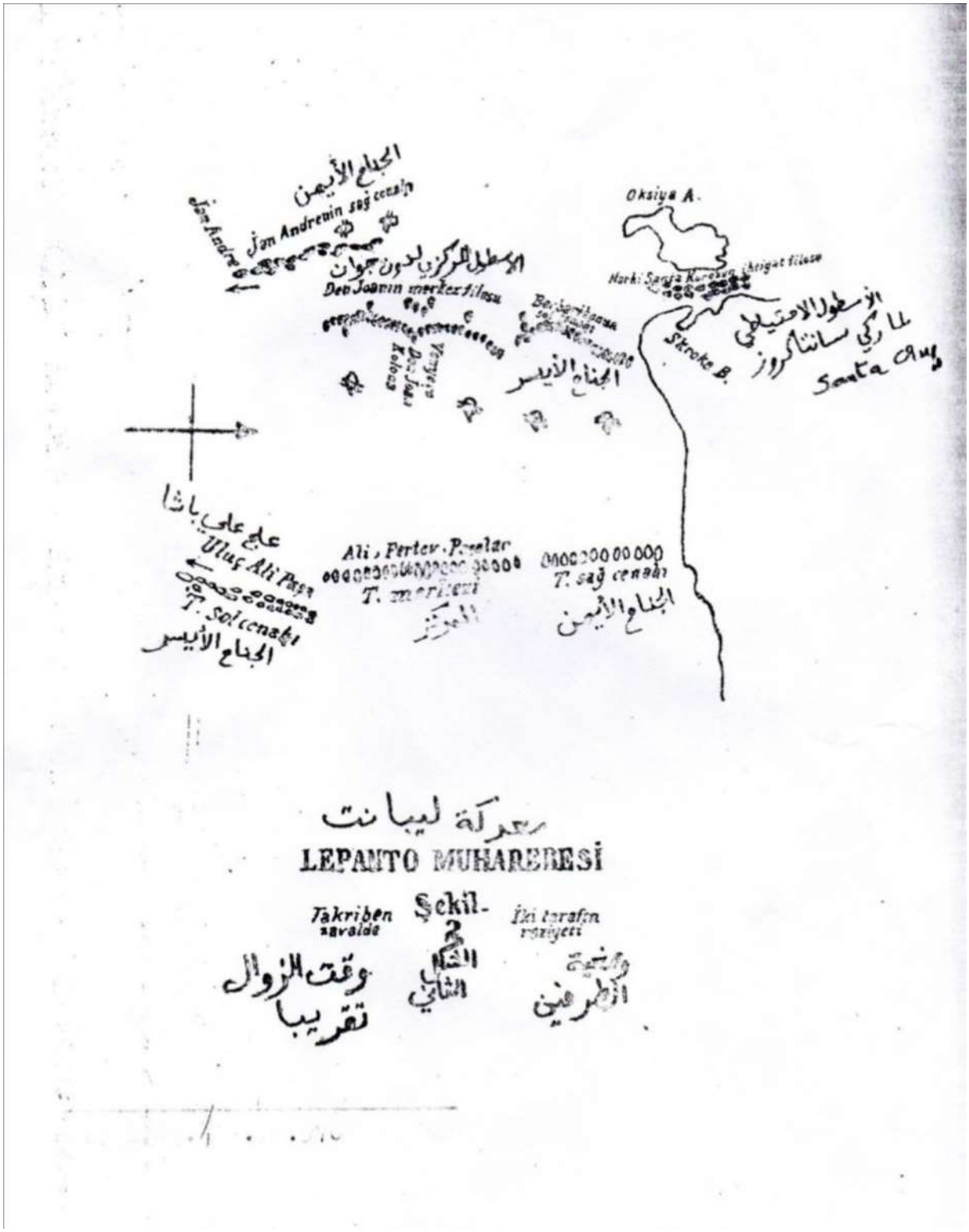

[1]– سي يوسف، مرجع سابق، ص 111.

الملحق رقم (02): يبين خريطة خليج ليبانتو ومحاكاة هجوم الأسطول العثماني[1]

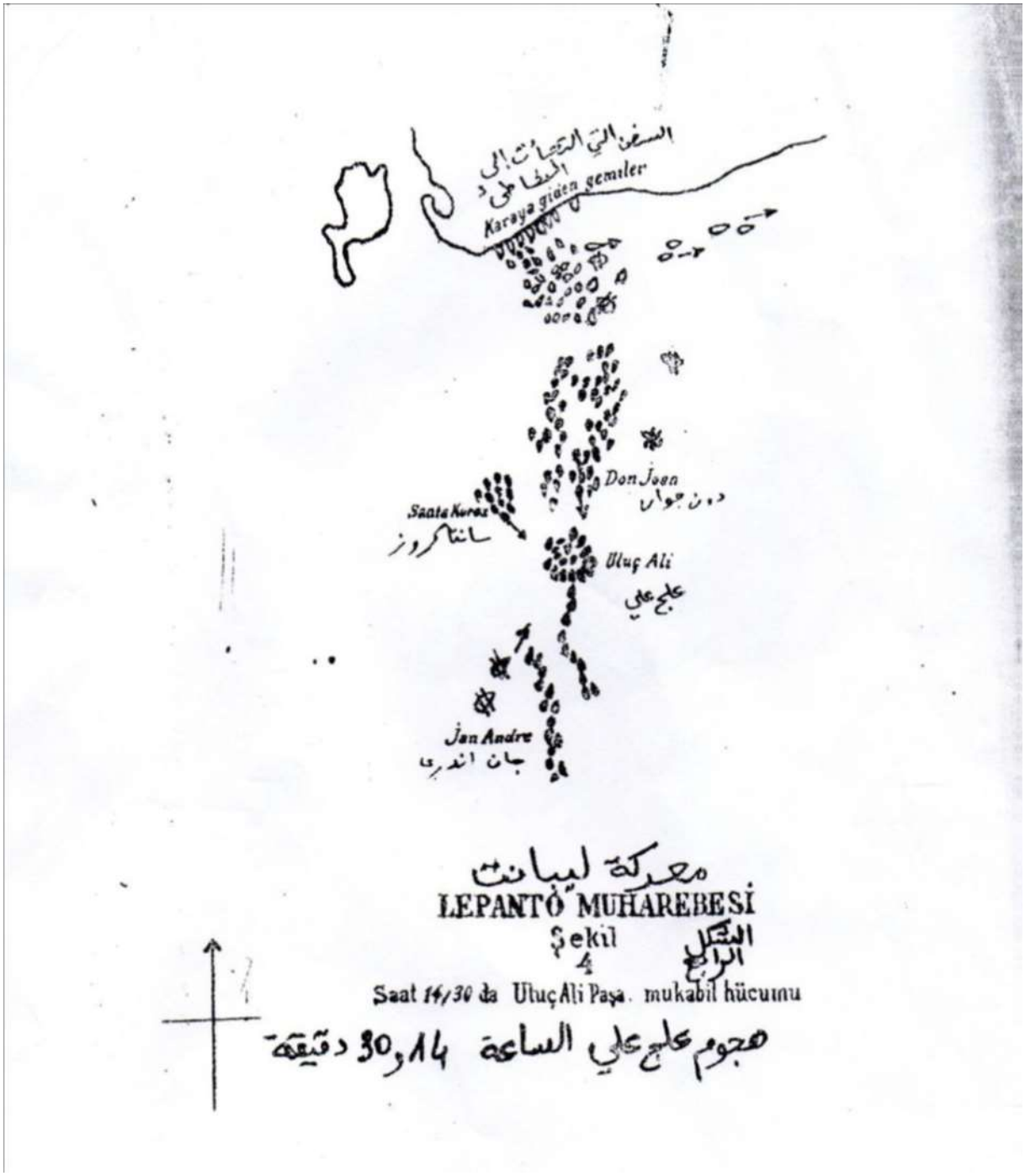

[1]– سي يوسف، المرجع السابق، ص 113.

الملحق رقم (03): صورة للوحة فنية تصور الأميرال قليج علي باشا[1]

[1]– سي يوسف، المرجع السابق.

الملحق رقم (04): بعض أنواع السفن في الأسطول الجزائري[1].

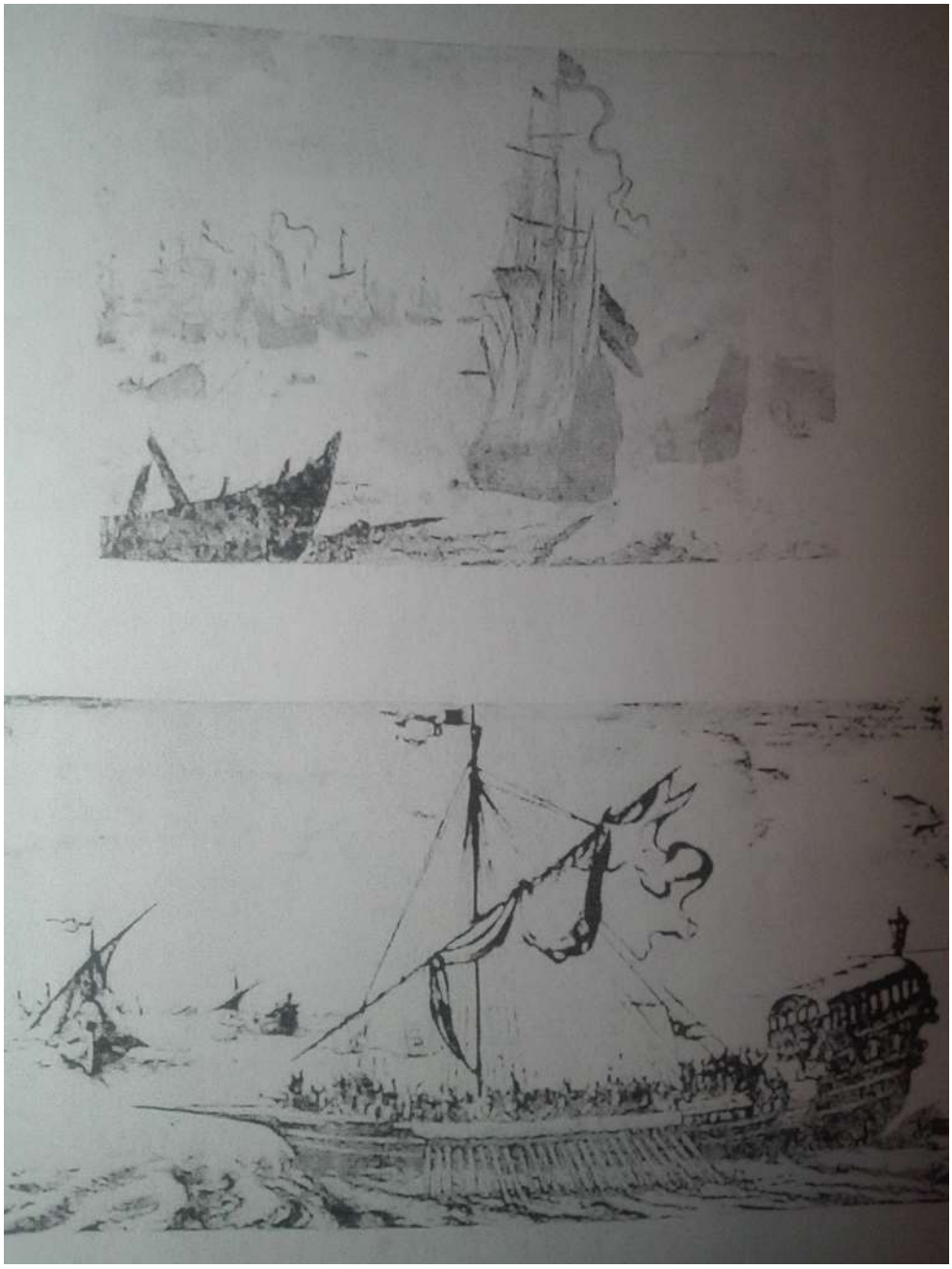

[1] – بن أشنهو، دخول الأتراك ...، مرجع سابق، ص 98.

الملحق رقم (05): لوحة فنية لسوق بيع الغنائم بمدينة الجزائر – الباديستان او البابستان– [1].

[1] – بن أشنهو، المرجع السابق، ص89.

الملحق رقم (06): رسم تخطيطي يوضح سجون الأسرى في مدينة الجزائر [1].

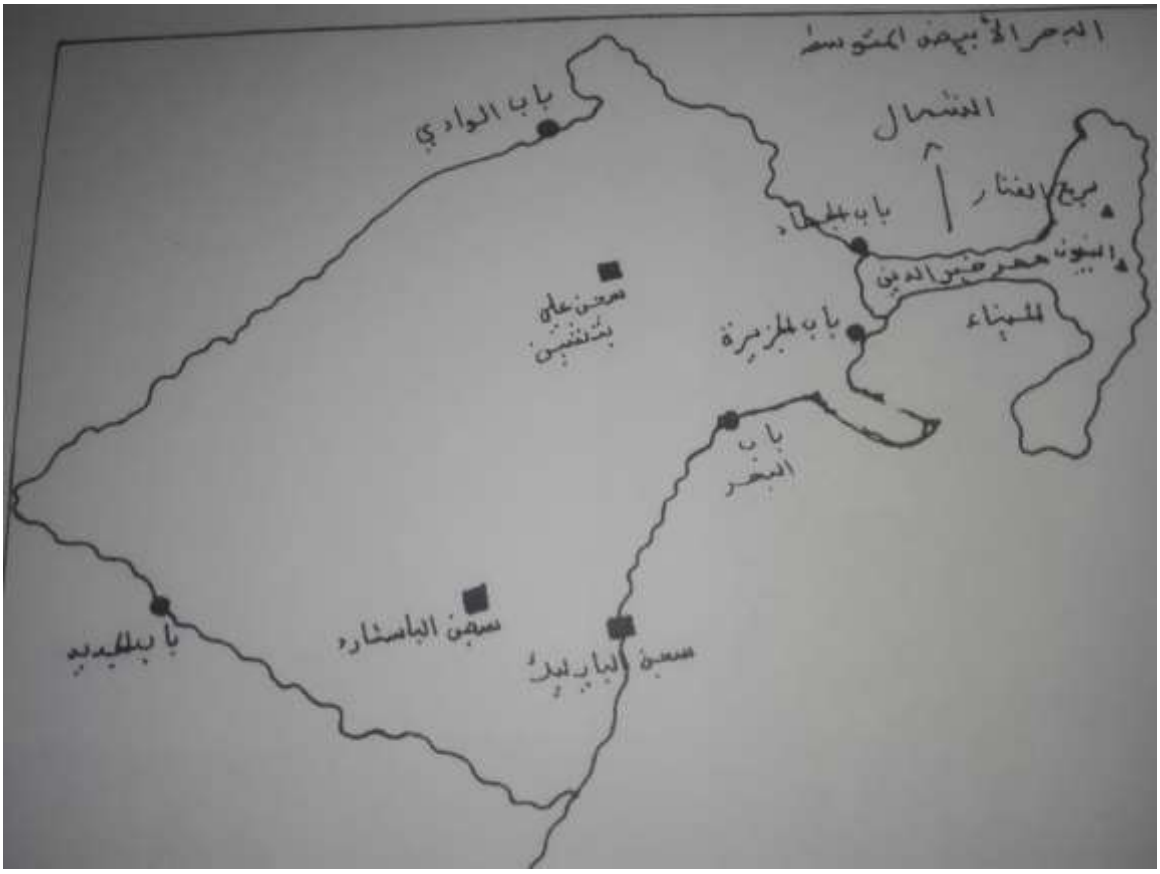

[1] – محمة، مرجع سابق، ص179.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر:

- ابن المفتي (حسين بن رجب الشاوش)، تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها(تقييدات ابن المفتي)، تقديم فارس كعوان، ط1، بيت الحكمة، الجزائر، 2009.
- بجوى (إبراهيم أفندي)، التاريخ السياسي والعسكري للدولة العثمانية – من عهد السلطان سليمان القانوني حتى عهد السلطان سليم الثاني –، ترجمة وتقديم ناصر عبد الرحيم حسين، مج 1، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2015.
- بربروس (خير الدين)، مذكرات، ترجمة محمد دراج، ط 1، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010.
- تيدنا، الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر، ترجمة احميدة عميراوي، دار الهدى عين مليلة، 2003.
- حاجي خليفة (كاتب جلبي)، تحفة الكبار في أسفار البحار، ترجمة وتحقيق محمد حرب، تسنيم حرب، ط 1، دار البشير للثقافة والعلوم، 2017.
- الرعيني (محمد بن ابي دينار القيرواني)، المؤنس في أخبار افريقية وتونس، ط1، مطبعة الدولة التونسية، تونس، د.ت.
- كربخال (مارمول)، إفريقيا، ترجمة محمد حقي ومحمد الأخضر وآخرون، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، دار المعرفة، الرباط، 1984 م، ج2.
- Haedo (Fry Diego), Histoire des rois d'Alger (Epitome de los reyes de argel – valladolid 1612), traduite et annotée par H.D de Grammont, Edition Adolphe Jourdan, Alger, 1881.

قائمة المراجع بالعربية:

- الأرقش (دلندا)، بن طاهر (جمال)، الأرقش (عبد الحميد)، المغرب العربي الحديث من خلال المصادر، مركز النشر الجامعي، تونس، 2003.

- ألتر (عزيز سامح)، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، ط1، ترجمة محمود علي عامر، دار النهضة العربية، بيروت، 1989.
- أوزوتونا (يلماز)، تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة عدنان محمود سلمان، مراجعة وتنقيح محمود الأنصاري، ط1، مج 1، مؤسسة فيصل للتمويل، استانبول، 1988.
- إينالجيك (خليل)، تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، ترجمة محمد أرناؤوط، ط1، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2002.
- بن اشنهو (عبد الحميد)، دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر، دار الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 1972.
- البهجي (ايناس حسني)، تاريخ الدولة العثمانية، مركز الكتاب الأكاديمي، د.ت
- بيهم (محمد جميل)، فلسفة التاريخ العثماني كيف نشأت وارتقت السلطنة العثمانية وإلى أي حد بلغت عظمتها، مكتبة صادر للطباعة، بيروت، 1925.
- تابليت (علي)، "البحرية الجزائرية عبر التاريخ، من القرن 14 الى القرن 19 ميلادي"، مجلة أفكار وآفاق، مج 4، العدد 6، الجزائر، 2015.
- التميمي (عبد الجليل)، الخلفية الدينية للصراع الإسباني العثماني وقضية الموريسكيين، مركز الدراسات والبحوث العثمانية والتوثيق والمعلومات، زغوان، 1989.
- التميمي (عبد الجليل)، الدولة العثمانية وقضية الموريسكيين الأندلسيين، مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات، زغوان، 1989.
- حاطوم (نور الدين)، تاريخ عصر النهضة الأوروبية، ط 2، دار الفكر، دمشق، 1985.
- حليم بك (إبراهيم)، تاريخ الدولة العثمانية العلية (التحفة الحليمية)، ط1، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، 1988.
- حليمي (علي عبد القادر)، مدينة الجزائر (نشأتها وتطورها قبل 1830م)، ط 1، الجزائر، 1972.

- خلاصي (علي)، الجيش الجزائري في العصر الحديث، ط1، دار الحضارة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007.
- الدغيم (محمود السيد)، أضواء على البحرية الإسلامية العثمانية، ندوة بعنوان الحضارة الإسلامية وعالم البحار (بحوث ودراسات)، منشورات اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة، نوفمبر، 1993.
- رائسي (ادريس الناصر)، العلاقات العثمانية الأوروبية في القرن السادس عشر، ط 1، دار الهادي للطباعة والنشر، بيروت، 2007.
- سبينسر (وليام)، الجزائر في عهد رياس البحر، تعريب وتقديم عبد القادر زبادية، دار القصبة، الجزائر، د.ت.
- سعيدوني (ناصر الدين)، تاريخ الجزائر في العهد العثماني، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2014.
- سعيدوني (ناصر الدين)، ورقات جزائرية (دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000.
- شاكر (محمود)، التاريخ الإسلامي(العهد العثماني)، ط 4، المكتب الإسلامي، بيروت، 2000 م، ج 8.
- شوفالييه (كورين)، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر (1510-1541)، ترجمة جمال حمادنة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.
- الشيخ (رأفت غنيمي)، دراسات أفريقية في التاريخ الحديث والمعاصر، ط1، القاهرة، 2011.
- عباد (الصالح)، الجزائر خلال الحكم التركي(1514-1830م)، دار هومة، الجزائر، 2012.
- العسلي (بسام)، خير الدين بربروس (والجهاد في البحر 1470- 1547 م)، ط3، دار النفائس، بيروت، 1986.
- عمورة (عمار)، موجز في تاريخ الجزائر، ط 4، دار ريحانة، الجزائر، 2001 .
- عميراوي (احميده)، قضايا مختصرة في تاريخ الجزائر الحديث، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، 2005 .

- غطاس (عائشة)، بوحمشوش (نعيمة)، وآخرون، الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث، الجزائر، 2007.
- فكاير (عبد القادر)، الغزو الإسباني للسواحل الجزائرية وآثاره (910- 1206هـ / 1505-1792م)، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2012.
- فكاير (عبد القادر)، دراسات في تاريخ الجزائر الحديث – العهد العثماني 1518/ 1830م- ، دار هومة، الجزائر 2018.
- فيشر (هربرت)، أصول التاريخ الأوروبي من النهضة إلى الثورة الفرنسية، ترجمة زينب عصمت راشد، أحمد عبد الرحيم مصطفى ط 3، مار المعارف، القاهر، 2001.
- قنان (جمال)، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1994.
- لورنس (هنري)، تولان (جون)، فاينشتاين (جيل)، أوروبا والعالم الإسلامي (تاريخ بلا أساطير)، ترجمة بشير السباعي، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة 2016.
- ماخوفسكي (باتسيك)، تاريخ القرصنة في العالم، ترجمة أنور محمد ابراهيم، ط1، مكتبة المشارق للنشر والتوزيع، القاهرة، 2016.
- مانتران (روبير) وآخرون، تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة بشير السباعي، ط1، دار الفكر للدراسات للنشر والتوزيع، القاهرة 1993.
- متولي (أحمد فؤاد)، تاريخ الدولة العثمانية منذ نشأتها إلى نهاية العصر الذهبي، ايتراك للنشر والتوزيع، القاهرة، 2005.
- المحامي (محمد فريد بك)، تاريخ الدولة العلية العثمانية، ترجمة إحسان حقي، ط 1، دار النفائس، بيروت، 1981.
- المدني (أحمد توفيق)، حرب الثلاثمئة سنة بين الجزائر وإسبانيا (1492 – 1792م)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر أحمد سالم سالم علي، السيطرة العثمانية على الحوض الغربي للبحر المتوسط في القرن 16م، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2011.

- مروش (منور)، دراسات عن الجزائر في العهد العثماني (القرصنة الأساطير والواقع)، ج2، دار القصبة، الجزائر، 2009.
- مصطفى (أحمد عبد الرحيم)، أصول التاريخ العثماني، ط2، دار الشروق، بيروت، 1993م
- المطوي (محمد العروسي)، الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1982.
- الميلي (مبارك)، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، مكتبة النهضة الجزائرية للنشر، مطابع بدران وشركائه، بيروت، 1964م، ج 3.
- نايت بلقاسم (مولود قاسم)، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل 1830م، ط2، دار الأمة للنشر والطباعة والتوزيع، الجزائر، 2007م، ج1.
- نورويش (جون جوليوس)، البحر المتوسط" تاريخ بحر ليس كمثله بحر "، ترجمة طلعت الشايب، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2015م.
- هلايلي (حنيف)، بنية الجيش الجزائري خلال العهد العثماني، ط1، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2007م.
- هلايلي (حنيفي)، القضية الموريسكية في الفضاء العثماني الجزائري على ضوء الفرمانات العثمانية(1492-1614م)، من السجل العلمي للملتقى الدولي (العلاقات الجزائرية التركية)، ج1، جامعة بسكرة، يومي 18-19 فيفري 2014م.

- هلايلي (حنيفي)، القضية الموريسكية في الفضاء العثماني الجزائري على ضوء الفرمانات العثمانية(1492-1614م)، من السجل العلمي للملتقى الدولي (العلاقات الجزائرية التركية)، ج1، جامعة بسكرة، يومي 18-19 فيفري 2014م.

- هلايلي (حنيفي)، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط1، دار الهدى، عين مليلة، 2008م.
- الوذيناني (خلف بن دبلان بن خضر)، الفتح الإسلامي لجزيرة رودس 929هـ / 1523 م، سلسلة بحوث الدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، 1997م.

- وولف (جون باتيست)، الجزائر وأوروبا (1500- 1830م)، ترجمة وتعليق أبو القاسم سعد الله، طبعة خاصة، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2015م.
- ياغي (اسماعيل أحمد)، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض، 1995م.
- ياغي (اسماعيل أحمد)، العالم العربي في التاريخ الحديث، ط 1، مكتبة العبيكان، الرياض، 1997م.

قائمة المراجع بغير العربية:

- Albert Devoulx, La marine de la régence d'Alger, Revue Africaine, année 3, N°77, Edition Challamael Ainé, Paris, Septembre 1869.
- D de Grammont, Histoire d'Alger sous la domination turque (1515 – 1830), édition Ernest Leroux, Paris, 1887.
- Souhila Markria, « Lepanto ; un encuentro de màxima rivalidad entre Felipe II y el mundo osmanli » oussour al jadida, vol 7, n27, octobre 2017.

قائمة المنشورات في المجلات والدوريات:

- أبلالي (أسماء)، التحرشات الإسبانية على سواحل الجزائر خلال القرن 10هـ/16م قراءة في الدوافع والنتائج، مجلة روافد للبحوث والدراسات، العدد2، جامعة غرداية، 2017م.
- بروديل (فرناند)، " صعود الامبراطوريات وانهيارها"، مجلة الاجتهاد، العددان 26-27، السنة السابعة، دار المجتهد للأبحاث والترجمة والنشر، بي0روت، 1415هـ / 1995م.
- بن آشنهو (عبد الحميد)، " الدور الذي لعبته الجزائر في القرن السادس عشر بالبحر المتوسط"، مجلة الأصالة، العدد 09، السنة 2، جمادى الأولى 1392هـ، جوان 1932م.

- بن صحراوي (كمال)، " الصراع المسيحي ومؤشراته في البحر المتوسط خلال القرن 16م"، مجلة الحضارة الإسلامية"، المجلد 15، العدد 21، جامعة وهران.
- الحضيري (ناصر الهادي)، الهجمات الصليبية على المغرب الإسلامي واستدعائها لتأسيس أيالات المغرب العثمانية 1492م – 1575م، المجلة الليبية العالمية، العدد 6، جامعة بنغازي، مارس 2016م.
- رضوان (نبيل عبد الحي)، "تطور الأسطول العثماني في ظل أبرز الحضارات البحرية للبحر المتوسط"، مجلة المؤرخ المصري، العدد 20، جامعة القاهرة، 1998م.
- سرحان (حليم)، " نظرات حول السفن الحربية الجزائرية في العهد العثماني، دراسة هستوغرافية "، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد 09، جامعة المسيلة، جويلية 2015م.
- سعيدي (خير الدين)، الحملات الإسبانية على مدينة الجزائر خلال العهد العثماني 1518 – 1775م من خلال مخطوط الزهرة النائرة لابن رقية التلمساني، مجلة دراسات وأبحاث، العدد 29، ديسمبر 2017م.
- سعيود (إبراهيم)، جهود الكنيسة البابوية في تحرير الأسرى الأوروبيين في الجزائر خلال العهد العثماني(مقاربة تاريخية)، مجلة الحوار المتوسطي، العدد 15- 16، جامعة سيدي بلعباس، مارس 2017م.
- سعيود (إبراهيم)، وثيقة بابوية تتعلق بتعميد الأسرى المسلمين – قراءة تاريخية-، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 15 -16، جامعة الجزائر، 2012 – 2013م.
- شطب (جاسم محمد)، " الاستراتيجية العثمانية في شمال إفريقيا في القرن 16م"، مجلة آداب الكوفة، المجلد 1، العدد 21، 2015.
- العبيدي (سمير عبد الرسول)، "حركة الجهاد البحري ونشوء الحكم العثماني في المغرب العربي"، مجلة الحوار المتوسطي، مج 6، العدد 9- 10، سبتمبر 2015م.
- فكاير (عبد القادر)، دور الأسطول الجزائري في معركة ليبانتو 1571 م، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، العدد 9، ديسمبر 2014م.

- قرباش (بلقاسم)، بانياوات الأسرى المسيحيين في الجزائر خلال العهد العثماني 1519 – 1830 م، مجلة دراسات تاريخية، العدد 1، ديسمبر 2013م.
- كليل (صالح)، سياسة خير الدين في مواجهة المشروع الاسباني لاحتلال المغرب الأوسط، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، اشراف علي آجقو، جامعة باتنة، 2006 - 2007م.
- هلايلي (حنيفي)، " التنظيم العسكري للبحرية الجزائرية في العهد العثماني"، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية، العدد 24، ديسمبر 2007م.
- هلايلي (حنيفي)، بوجلال (مسعودة)، " قضايا البحر الأبيض المتوسط بين الجهاد والصليبية من خلال كتابات فرناند بروديل"، مجلة الحوار المتوسطي، العددان 15-16، مارس 2017م.

قائمة الدراسات الأكاديمية والجامعية:

- بليل (رحمونة)، القناصل والقنصليات الأجنبية بالجزائر العثمانية 1564 – 1830 م، أطروحة دكتوراه في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، إشراف دحو فغرور، جامعة وهران، 2010 – 2011م.
- جميل (عائشة)، الجزائر والباب العالي من خلال الأرشيف العثماني (1520-1830م)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، اشراف عبد القادر صحراوي، جامعة سيدي بلعباس، 2017 – 2018م.
- حماش (خليفة)، العلاقات بين إيالة الجزائر والباب العالي (1798-1830م)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، اشراف خليل عبد الحميد عبد العال، جامعة الاسكندرية، 1988م.
- درويش (الشافعي)، علاقات الإيالات العثمانية في غرب المتوسط مع إسبانيا خلال القرن العاشر الهجري / السادس عشر ميلادي، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، إشراف عمار بن خروف، جامعة غرداية، 2010م – 2011م.

- رضوان (نبيل عبد الحي)، جهود العثمانيين لإنقاذ الأندلس واسترداده في مطلع العصر الحديث، أطروحة دكتوراه في التاريخ الإسلامي الحديث، اشراف محمد عبد اللطيف البحراوي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1407 هـ / 1987م.
- سي يوسف (محمد)، قليج علي ودوره في البحرية العثمانية، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، إشراف أبو القاسم سعد الله، جامعة الجزائر، 1988م.
- محمة (عائشة)، الأسرى الأوروبيون في مدينة الجزائر ودورهم في العلاقات بين الجزائر ودول الحوض الغربي للمتوسط خلال القرنين 16 م – 17 م، رسالة ماجستير، إشراف عمار بن خروف، جامعة غرداية، 2011 – 2012م.

قائمة المعاجم:

- صابان (سهيل)، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مطبعة الملك فهد الوطنية، الرياض، 2000م.
- محاسيس (نجاة سليم)، معجم المعارك التاريخية، ط1، دار زهران، عمّان، 2011م

فهرس المحتويات:

إهداء
كلمة شكر
مقدمة .....أ

فصل تمهيدي: الدولة العثمانية في القرن 16م **11**

الفصل الأول: البحرية الجزائرية من التأسيس إلى العالمية **20**
المبحث الأول: جهود الاخوة بربروس في تأسيس الأسطول الجزائري الحديث. 21
المبحث الثاني: نظام البحرية العثماني.....31
المبحث الثالث: المكانة الدولية للأسطول الجزائري في البحر الأبيض المتوسط. 35

الفصل الثاني: أبعاد التنافس الدولي حول المتوسط.....**40**
المبحث الأول: الخطاب الديني المتعصب وأثره في تأجيج الصراع في المتوسط. 41
المبحث الثاني: البعد المادي للمعارك البحرية في المتوسط(الجهاد البحري – القرصنة الأوروبية – غنائم البحر...). 46
المبحث الثالث: المعاناة الإنسانية من خلال أدبيات الأسر. 51

الفصل الثالث: معركة ليبانت، أحداثها وآثارها.....**60**
المبحث الأول: خلفيات معركة ليبانت وتشكيل التحالف الصليبي. 61
المبحث الثاني: خليج ليبانت ميدان لمواجهة عنيفة. 72
المبحث الثالث: نتائج المعركة. 81

خاتمة.....**86**
الملاحق.....**90**
قائمة المصادر والمراجع..... **97**
فهرس المتحوى.....**107**

تمت المذكرة بحمد الله